معالجة الوباء عند سوفوكليس وثوكيديديس ولوكريتيوس وفرجيليوس في ضوء علم الأسلوب

د. / ولاء توفيق فرح
كلية الآداب – جامعة القاهرة

Abstract:

Treatment of the Plague in Sophocles, Thucydides, Lucretius, and Vergil in the Stylistic Approach

The plague was an interesting and attractive topic for a number of writers in different fields, prose or poetry, in order to express a specific point of view, and each of them had his own distinctive style in order to show this idea. This research paper deals with the treatment of the plague by the poet Sophocles in “Oedipus the King", the historian Thucydides in "The History of the Peloponnesian War", the poet Lucretius in the poem "On the Nature of Things", and the poet Vergil in "The Georgics", in the stylistic approach, where each of these writers had a purpose in dealing with the subject of the plague, and this was reflected in using vocabulary, adjectives and linguistic tools that help them to achieve this purpose. Sophocles was expressing the culture of his time, while Thucydides was interested in describing the symptoms of the disease rather than providing a philosophical or religious explanation for the causes of the disease, as he spoke objectively without arousing pity and passion, while Lucretius did not view the Athenian plague as a historical event, as he does not care about time and place, he wants to direct the reader to accept the idea of death by accepting the scientific explanation of natural phenomena. in general Lucretius deals with reality in phrases closer to prose than to poetry, so he does not resort to artistic prowess as does Vergil, who explicitly aims to sympathize with the victims of the plague through the use of vocabulary indicating sadness and despair. He presents a simplified picture of the plague in an emotional, rhetorical style through contradiction and pity, without considering the scientific and historical facts.

الملخص

كان الوباء موضوعًا شيقًا جاذبًا لعدد من الكُتاب في مجالات مختلفة، سواء كانت نثرًا أم شعرًا، بغرض التعبير عن فكر الكاتب ذاته، وكان لكل منهم أسلوبه الخاص والمميز من أجل إظهار هذا الفكر. تتناول هذه الورقة البحثية معالجة الوباء عند كل من الشاعر اليوناني سوفوكليس في مسرحية "أوديب ملكًا"، والمؤرخ اليوناني ثوكيديديس في عمله "تاريخ الحرب البيلوبونيسية، والشاعر الروماني لوكريتيوس في قصيدة "في طبيعة الأشياء"، وأخيرًا الشاعر الروماني فرجيليوس في ديوان "الزراعيات"، في ضوء علم الأسلوب، فقد كان لكل كاتب من هؤلاء غرض من تناول موضوع الوباء، وانعكس ذلك في استخدام كل منهم للمفردات والصفات والأدوات اللغوية التي تساعده في تحقيق هذا الغرض. فكان سوفوكليس يعبر عن ثقافة عصره، أما ثوكيديديس فكان اهتمامه منصب على وصف أعراض المرض بدلاً من أن يقدم تفسيرًا فلسفيًا أو دينيًا لأسباب المرض، واتصف حديثه بالموضوعية دون اللجوء لإثارة الشفقة أو العاطفة، بينما لم ينظر لوكريتيوس للوباء الذي واجهته أثينا كحدث تاريخي، فلم يهتم بفكرة الزمان والمكان، بل كان يوجه القارئ لقبول فكرة الموت من خلال قبول التفسير العلمي للظواهر الطبيعية. ولوكريتيوس يتناول بوجه عام الواقع في عبارات أقرب للنثر منها إلى الشعر، فلم يلجأ إلى البراعة الفنية كما فعل فرجيليوس الذي يهدف صراحة للتعاطف مع ضحايا الوباء من خلال استخدام مفردات مؤثرة تحمل دلالة الحزن واليأس، فهو يقدم صورة مبسطة للمرض بأسلوب عاطفي بلاغي عن طريق التناقض وإثارة الشفقة، دون أن يعتبر للحقائق العلمية والتاريخية.

المقدمة

يركز شارلز بالي **Charles Bally**(١٨٦٥-١٩٤٧م) مؤسس علم الأسلوب على العناصر الوجدانية للغة، وهو تركيز تلقفه عالم الأسلوب الألماني سيدلر **Seidler, H** الذي ركز على الجانب التأثيري والعاطفي في اللغة، ثم تطورت النظرة إلى علم الأسلوب وإمكانية الإفادة منه في دراسة النصوص الأدبية على يد العالم ليو سبيتزر **Leo Spitzer** (١٨٨٧-١٩٦٠م) الذي أقام جسراً بين دراسة اللغة ودراسة الأدب وأسس الأسلوبية المثالية، حيث أحدث تحولًا جوهرياً في الإفادة من اللغة في دراسة النصوص الأدبية، ودراسة الأسلوب الفردي للأديب من خلال اعتماده على الكشف عن ملمح أو ملامح لغوية تشكل ظاهرة أسلوبية. وقد بنى رؤيته هذه متأثرًا بآراء كارل فوسلر **Karl Vossler** وبرجسون **Bergson** وفرويد **Freud, S.**، وافاد من دراسات فرويد في الاعتناء بالجوانب النفسية للمبدع.

وقد ظلت الدراسات الأسلوبية ضمن هذه المعطيات التي أرساها بالي وسبيتزر حتى جاء جاكبسون، وقدم اطروحات جديدة تبرز من خلال تعريفه للأسلوبية إذ يقول: "إنها البحث عما يتميز به الكلام الفني عن بقية مستويات الخطاب". يقدم هذا التعريف أسسًا جوهرية في تمييز الأسلوبية التي تقوم على خصوصية العمل الفني عن مستويات الخطاب الأخرى، وهو بهذا يخرج اللغة العامية والشفوية من الكلام الفني، لأن الأسلوبية لا تطبق إلا على الكلام الفني دون غيره[١].

ويقول الدكتور صلاح فضل: "إن العلماء قد حددوا مجالات علم الأسلوب الحديث بحثًا عن التعبير المتميز، وأوجزوها في سبعة أبواب هي: أسلوب العمل الأدبي، وأسلوب المؤلف، وأسلوب مدرسة معينة أو عصر خاص أو جنس أدبي محدد أو الأسلوب الأدبي من خلال الأسلوب الفني أو من خلال الأسلوب الثقافي العام في عصر معين[٢]. وبناء على ما ذكره الدكتور صلاح فضل، فإن علم الأسلوب هو إنتقاء لسمات لغوية معينة يقوم به الكاتب بغرض التعبير عن موقف معين، ويدل هذا الاختيار على تفضيل الكاتب لهذه السمات على سمات أخرى بديله تشكل أسلوبه الذي يتميز به عن غيره من الكتاب[٣].

ويعد "علم الأسلوب" فرعًا من فروع علم اللغة التطبيقي، يقنن لدراسة النص الأدبي على كافة مستوياته التعبيرية والصوتية والصرفية والنحوية والدلالية[٤]، وغايته هي دراسة الأساليب اللغوية المختلفة؛ حتى يتم تصنيف سمة كل أسلوب، حسب ميزته اللغوية من حيث النحو والصوت واللفظ والدلالة[٥]. ولابد هنا من التأكيد على أنه ليس من مهام المحلل الأسلوبي إصدار الأحكام على العمل الأدبي –الحكم له أو عليه– فهذا ما ينأى عنه البحث الأسلوبي الذي يجب أن يتسم بالموضوعية، فعلم الأسلوب أو علم اللغة الأسلوبي لا يفرض على النص شيئًا من خارجه، إنما يعتمد أساسًا على اللغة، وهي بنية النص الأساسية[٦].

وسبب اختيار موضوع الوباء عند هؤلاء الكُتاب تحديدًا هو محاولة تناول الموضوع في أنماط أدبية متنوعة، ما بين الشعر المسرحي ويمثله الشاعر اليوناني سوفوكليس، والتاريخ ويمثله المؤرخ اليوناني ثوكيديديس، والشعر التعليمي ويمثله الشاعران الرومانيان لوكريتيوس وفرجيليوس.

---

(١) موسي ربابعة ٢٠٠٣، ص ص١٠ –١٢

(٢) صلاح فضل ١٩٩٢، ص١٧

(3) Arua, E. 2014, p118

(4) Macrae, J. 2005, pp238-239

(٥) فتح الله أحمد ٢٠٠٤، ص ٤٣

(6) Yufang, Ho 2011, p7

معالجة سوفوكليس للوباء "λοιμός".

تستخدم كلمة **λοιμός** [٧] للدلالة على المرض بصورة عامة وليس مرض محدد، وتترجم عادة بالوباء[٨]. يوضح الطبيب أبقراط[٩] في تقريره عن الأوبئة أن الوباء يصيب جنس الإنسان أو الحيوان أو النبات، ولا يوجد وباء يصيب الكائنات جميعًا، لكن هذا لا يتفق مع ما ذكره سوفوكليس في مسرحية "أوديب ملكًا" **Οἰδίπους τύραννος**، حيث يوضح أن الوباء يصيب جميع الكائنات وليس الإنسان فقط، وهو ما ذكره هوميروس عن هذا المرض، مما يشير إلى تأثر سوفوكليس بهوميروس في هذه الجزئية[١٠]. يرجع سوفوكليس الوباء إلى سبب إلهي، وهو عقاب تنزله الآلهة على مجتمع ينتمي إليه شخص يقترف ذنبًا أو جريمة أخلاقية، وحينها يلجأون لاستشارة النبوءات والتضرع للآلهة، وليس للطبيب دور في النجاة من هذا الوباء[١١].

تبدأ مسرحية "أوديب ملكًا" بتضرعات سكان مدينة طيبة من شيوخ وشباب وأطفال في مذبح الآلهة بغرض التطهير من آفة **φθορά**، ثم يتدرج الحديث للوصول

---

(٧) تظهر كلمة **λοιμός** في النصوص الطبية عند أبقراط، وهوميروس il.1.61، وهيسيودوس works 243، وفي التراجيديا، لكنها لم تظهر عند الشاعر يوريبيديس.

(8) Jacques, J. 2012. p9

(٩) وُلد أبقراط (٣٧٧-٤٦٠ ق.م.) في جزيرة كوس، وكان أوّل من سجل الملاحظات الطبية، وكتب عددًا كبيرًا من المقالات الطبية، ونسب إليه تلاميذه عددًا أكبر من المؤلفات التي كتبوها بأنفسهم، لكنهم استوحوها من مبادئ أستاذهم، وقد كونت هذه المقالات ما سماه مؤرخو تاريخ الطب Corpus Hippocraticum "المجموعة الأبقراطية"، ويتراوح عدد كتبها بين ٧٢ و٧٦ كتابًا في ٥٣ موضوع، وكان لهذه المجموعة شأن كبير عند العرب، فترجموا معظمها. (جورج شحاتة قنواتي٢٠١٩، ص ص٦١،٦٤). تتميز ملاحظات أبقراط الطبية بطابع علمي ولغة رصينة تثير الإعجاب. بعض الرسائل المنحولة المنسوبة لأبقراط تشير ضمنًا إلى أن أبقراط أنقذ بلاد اليونان من الوباء الذي انتشر خلال استعداد أثينا للحرب البيلوبونيسية. (جورج سارتون٢٠١٠، ص ص ٢٦٢، ٢٩٩).

(10) Jacques, J. 2012. p9, Hom. il. 1.61

(١١) Jacques, J. 2012. p9 لا يرفض التراجيديون التفسير العقلي للأمراض، حيث يوجد شذرة من مسرحية مفقودة للشاعر يوريبيديس، توضح أن من يعالج المريض عليه أن يلتفت لبعض الأمور، منها: طبيعة الطعام والفئة العمرية للمريض Nauck. Fr. 917. وأحيانا يستخدم التراجيديون أسماء أمراض تظهر في الكتابات الطبية عند أبقراط، ولم يستخدمها غيرهم في الفترة الكلاسيكية، مثلما هو الحال في مرض فيلوكتيتس الذي عانى منه لمدة عشر سنوات بسبب جرح من عضة ثعبان، فالتراجيديون الثلاثة كتبوا مسرحيات عن فيلوكتيتس، والمسرحية الباقية هي للشاعر سوفوكليس، أما المسرحيتان الأخريتان عبارة عن شذرات تشمل اسم هذا المرض **φἄγέδαινα** (قرح سرطانية)، وهو مصطلح يستخدم في الكتابات الطبية الحديثة باسم Phagedena والصفة منه Phagedenic Ulcer، وقد ذكرت هذه الصفة عند أبقراط في حديثه عن الجروح، مما يؤكد إطلاع التراجيديين على المؤلفات الطبية. Jacques, J. 2012, p69

إلى وصف هذه الآفة بإنها أبشع وباء[١٢] **λοιμὸς ἔχθιστος**، وهو الوباء الذي هاجم مدينة طيبة، مما دفع الملك أوديب إلى استشارة نبوءة دلفي[١٣]، وقد أعلنت النبوءة أن الوباء نشأ نتيجة تلوث، وأن الإله أبولو يطلب من سكان المدينة التخلص من التلوث **μίασμα**[١٤]بطرده خارج المدينة، وهي كلمة تحمل من خلال السياق دلالة على التلوث الأخلاقي، فهذا الوباء لم يصب السكان فقط، بل أصاب أيضًا الأزهار المثمرة **φθίνουσα μὲν κάλυξιν ἐγκάρποις χθονός**، وتسبب في نفوق الماشية **ἀγέλαις βουνόμοις τόκοισί**، واجهاض النساء **ἀγόνοις γυναικῶν**، ومثل هذه الحالات تظهر في وصف اللعنات، ووصف الظواهر الخارقة للطبيعة[١٥]. فكل شيء في المدينة قد أصابه المرض[١٦].

ومنذ أن أعلن العراف تريسياس أن الملك أوديب هو المسئول عن هذا الوباء (الأبيات٣٥٠-٣٥٣)، أصبح الوباء موضوعًا ثانويًا بالمسرحية، وكان يتوقع في ضوء موضوع مسرحية "أوديب ملكًا" أن يستخدم سوفوكليس كلمة **λοιμός** بشكل مكثف، إلا إنها ظهرت مرة واحدة فقط بالمسرحية، عندما يوضح الكاهن تأثير الوباء المدمر[١٧].

وتظهر كلمة **νόσος** (المرض) بصورة عامة في الأدب اليوناني للدلالة على المرض، وبصورة مجازية لوصف كل ما هو سيء، أما كلمة **λοιμός** فتستخدم

---

(١٢) Soph. O. T. 28، إن المأساة تستمد موضوعاتها من مصدرها الأصلي هوميروس، الذي يستخدم كلمة **λοιμός** مرة واحدة، عندما وصف الوباء الذي أرسله أبولو ضد جيش الأخيين IL.1.61، وكذلك ظهرت مرة واحدة عند هيسيودوس، عندما وصف الويلات التي أرسلها زيوس ضد الرجال معتبرًا الوباء مجاعة OP.243، أما بنداروس فلم يستخدم هذه الكلمة، واستخدمها هيرودوت ثلاث مرات Mitchell-Boyask, R. 2007,p26. هناك من يرفض أن تكون مسرحية "أوديب ملكًا" شاهدًا علي وباء أثينا، وذلك لأن تاريخ تأليفها بعد عام٤٣٠ق.م.، أي بعد انتهاء أزمة الوباء في أثينا Karl-Heinz, L.1991,p129. لكن نوكس يقدم أدلة من أحداث المسرحية ذاتها تشير إلى أن تاريخ المسرحية يعود لعام ٤٢٦ أو٤٢٥ ق.م.، كما يوضح أن الوباء عند سوفوكليس مستوحى من وصف الوباء عند ثوكيديديس. Mitchell-Boyask, R. 2007, p57

(13) Soph. O. T. 68-72

(١٤) Soph. O.T. 96-98, 241 نلاحظ أن الكتابات الطبية تستخدم كلمة **μιάσματα** في حالة الجمع، لكن في السياق الدرامي تستخدم كلمة **μίασμα** في حالة المفرد، وهذا يرجع إلى أن النص الطبي يعرض أسبابًا طبيعية ومؤثرات خارجية Mitchell-Boyask,R. 2007,p40، لكن في التراجيديا فهو تلوث ناتج عن انتهاك ديني وأخلاقي. Jacques, J. 2012, p125

(١٥) Soph. O.T. 25-27, Htd 3.65, 6.139 وانظر، Knox, B.M.W. 1956, p135 O. T. 171-174

(16) Finnegan, R.1999, p31

(١٧) Soph. O. T. 28، لا توجد دراما يونانية تناقش موضوع الوباء مثل مسرحية "أوديب ملكًا" لسوفوكليس، وإن كانت هذه المسرحية تناقش موضوع الوباء بصورة موجزة. Mitchell-Boyask, R. 2007, p56

للدلالة على الوباء، وفي العقود الثلاثة الأخيرة من القرن الخامس اختفى مصطلح **λοιμός** من الأدب اليوناني، مما يوحي بوجود معتقدات تسببت في غياب هذا المصطلح من النصوص، وربما يرجع السبب إلى خوف الأثينيين من مواجهة نفس المصير الذي عانت منه أثينا أثناء مواجهة هذا الوباء، فأصبحت كلمة **λοιμός** من الكلمات المكروهة لدى الأثينيين، لأنها تذكرهم بتلك الأزمة المميتة التي تعرضوا لها، كما أنها كانت تثير في الجمهور مشاعر الحزن والخوف الشديدين[١٨]، وهو ما لا يتفق مع مفهوم الشفقة[١٩]، لذلك ربما لم يستخدم سوفوكليس هذا المصطلح خوفًا من ملاقاة نفس مصير الشاعر فرينيخوس[٢٠]الذي تم تغريمه الف دراخمة، لأنه ذكر الأثينيين بخسائرهم في ميليتس، مما دفع التراجيديين إلى عدم استخدام تلك الكلمة بعد عام ٤٣٠ ق.م.[٢١].

---

(18) Aristotle, Rhetoric 1386A17-24a

(١٩) طبقا لأرسطو في كتاب "فن الشعر"، إن هدف التراجيديا هو إثارة عاطفتي الشفقة والخوف، شفقة المشاهد على الذين تصيبهم المأساة التي يتابعها، وخوفه من مصير مشابه كي يصل من خلال ذلك إلى التطهير، أي التنظيف الوجداني والعقلي الذي يتخلص فيه من الرواسب السيئة في ذواتنا، وذلك باستخلاص عبر من قصص الأخرين. (مصعب قاسم عزاوي٢٠٢١، ص٤)

(٢٠) شاعر من أوائل التراجيديين، ازدهر حوالي عام ٥٠٠ ق.م.، ويعتقد البعض أنه المؤسس الأول للتراجيديا اليونانية، وأنه أول من أدخل الشخصيات النسائية في المأساة، بعد أن استولى الفرس على ميليتس حليف أثينا عام ٤٩٤ق.م.، أنتج فرينيخوس مأساة "سقوط ميليتس" التي أزعجت المشاعر الأثينية حتى تم تغريمه، لكن عام ٤٧٦ق.م. فاز بالجائزة الأولى في مسابقة أعياد الديونيسيا الكبرى بمسرحية "الفينيقيات"، وهي مسرحية تقدم انتصار اليونان على الأسطول الفارسي في معركة سلاميس عام ٤٨٠ق.م.، ويقال إنه توفى في صقلية.
www.Britannica.com/biography/phrynichos-greek-tragic-poet

(٢١) ظهرت كلمة **λοιμός** مرتين عند ايسخيلوس الذي مات عام ٤٥٤ ق.م.، أي قبل وباء أثينا بفترة طويلة، قرن ايسخيلوس الوباء بالحرب في المقطع الأول من مسرحية "الفرس"، حيث شبح داريوس يستجوب زوجته اتوسا(البيتين ٧١٥-١٦) هل حدثت نوبة وباء أم صراع بين فصائل البوليس؟ فهو يربط القوتين معًا، كذلك في مسرحية "المستجيرات" تربط الجوقة أيضًا الوباء بالحرب (الأبيات ٦٥٩-٦٢)، فالوباء يهاجم كيان المدينة، أي أن الكلمة تحمل دلالة سياسية، مستخدمًا مصطلح المدينة المريضة، وهي الفكرة ذاتها عند سوفوكليس في مسرحية "انتيجوني" التي انتجت أواخر عام ٤٤٠ ق.م.، حيث يشير كريون إلى مرض انتيجوني العقلي، البيت ٧٣٣ وانظر البيتين٤٢١، ١٠٥٢، أما اريستوفانيس تجنب استخدام كلمة **λοιμός**، واستخدم كلمة **νόσος** بدلا منها. يلمّح اريستوفانيس إلى معاناة ضحايا وباء أثينا في مسرحية "السحب" ٤٢٣ ق.م. عندما يصور استربسياديس الذي يتألم من ندبات على جسده بسبب بق الفراش، بعد أن أمره سقراط بالاستلقاء والتفكير (الأبيات ٧٠٧-٧١٦)، وربما كان هذا الاستخدام الهزلي من المحنة الرهيبة التي عانت منها أثينا سببًا في عدم فوزه، مما أثار غضبه، واشتكى من هذا القرار بإسهاب في مسرحية "الدبابير" في العام التالي، وربما يرجع سبب عدم استخدام كلمة **λοιμός** في الكوميديا إلى أن هذا الموضوع الكارثي لا يعد ملائمًا لموضوعات الكوميديا. Mitchell-Boyask, R. 2007. pp 27,37

وقد اعتبر سوفوكليس كلمة **λοιμός** كلمة مشئومة، فهو يصور مرض مازال الجمهور يعاني منه، وربما يكون استخدامه لهذه الكلمة سببًا في حصوله على المركز الثاني في مهرجان ديونيسيوس في العام ذاته، على الرغم من أن أرسطو يعتبر هذه المسرحية من أفضل المسرحيات على الإطلاق[٢٢].

نجح سوفوكليس في صنع مزيج بين المعنى الحرفي والمجازي[٢٣] لكلمة **νόσος**، حيث يستخدم كلمة **νόσος** وكلمة **νόσημα**[٢٤] (١٣) مرة بديلًا لكلمة **λοιμός** للدلالة على الوباء في مسرحية "أوديب ملكًا"، كما يستخدم الفعل **νοσέω** (٣) مرات في البيتين ٦٠،٦١، فيقول أوديب بالمسرحية (البيت ٦١) على سبيل المثال:

οὐκ ἔστιν ὑμῶν ὅστις ἐξ ἴσου νοσεῖ.

"لا أحد منكم مريض مثلي أنا."

وهو ما يوضح مدى المعاناة التي تعانيها مدينة طيبة حتى أن المرض وصل إلى الملك ذاته، وهنا يستخدم أوديب المعنى المجازي للفعل **νοσέω**، فهو ليس مصابًا بالوباء، لكنه يستخدم هذا الفعل ليصف حزنه وألمه، حيث إن عواطفه متأثرة بالوباء، ويبدو أن ذلك يؤهل الجمهور لرؤية أوديب على المسرح أعمى مخضبًا بالدماء، ويعتقد ميتشل بوياسك Mitchell-Boyask: "إن هذا لا يعني اختفاء المرض، كما يؤكد البعض، لكنه انتقل إلى جسد أوديب، فأصبحت معاناة أوديب جسدية بعد أن كانت نفسية فقط[٢٥].

وبالرغم من أن الإصابة بالأوبئة تنسب إلى الإله أبولو[٢٦]، ينسب الكورس بالمسرحية الوباء للإله أريس– إله الحرب الذي هجم عليهم، بدون دروعه البرونزية **ἄχαλκος ἀσπίδων**[٢٧]، فيدعون عليه بالهلاك، ويعتبرونه معتديًا وليس حاميًا لمدينة

(22) Mitchell-Boyask, R., 2009. p 374

(٢٣) المعنى الحرفي كما في الأبيات ٦٠،٦١،١٥٠،١٦٩،٢١٧،٣٠٣،٣٠٧،٦٣٦،٩٦٠،٩٦٢، والمعنى المجازي كما في الأبيات ٦١، ١٢٩٣،١٤٥٥

(٢٤) كانت كلمة **νόσος** تستخدم في الأدب بشكل مجازي، فمثلًا في مسرحية "أجاممنون" (الأبيات٨٤٨–٥٠) للشاعر ايسخيلوس يقول أجاممنون: "إنه يطرح نفسه كطبيب يشفي أي مرض مدني، وكان سوفوكليس يعطي اهتمامًا كبيرًا للشخصيات والمجتمعات تحت تهديد المرض، ليس لغرض أكلينيكي، لكن باعتبارها رموز درامية، ففي بداية مسرحية "انتيجوني" الأبيات ١٤١،٤٢١،١٠١٥ يربط كلمة **νόσος** بالأحداث في مدينة طيبة.
Mitchell-Boyask, R. 2007, p33

(25) Mitchell-Boyask, R. 2007, pp 62,63

(26) Moliken, P. 2005, p XXVI

(27) Soph. O.T. 191-202

طيبة كما هو معروف[٢٨]، مما يوحي بأن سوفوكليس لا يفكر بهذا التضرع في مدينة طيبة التي كانت تعيش في سلام، بل في مدينة أثينا التي كانت في حالة حرب مع أسبرطة[٢٩]، حيث لم تتعرض مدينة طيبة في هذه المسرحية لهجوم مسلح، بينما كان وباء أثينا جانبًا من جوانب الحرب البيلوبونيسية، ويتضح ذلك من خلال استخدامه مفردات وأفعال تلائم الحروب في وصفه للوباء، فيشبه سوفوكليس الوباء بالجيش الذي يهاجم **ἀντιάζω**، ويحرق **φλέγω** وسط صرخات المعركة **περιβόατος ἀντιάζων**، وفي نحيب الكورس يصف الوباء في حصاده للأرواح بالنار الآكلة **ἀμαιμακέτου πυρὸς**[٣٠] التي لا تقاوم، وهو تشبيه لم يسبق أحد سوفوكليس إليه في استخدامه، كما يصف الوباء بلهيب الكارثة **φλόγα πήματος**[٣١]، فقد هجم الوباء من الداخل، بينما هجمت الجيوش البيلوبونيسية من الخارج، وقد عبر ثوكيديديس عن هذه الكارثة بأسلوبه الرائع، حيث يقول:

ἀνθρώπων τ' ἔνδον θνῃσκόντων καὶ γῆς ἔξω δῃουμένης[٣٢].

"البشر يموتون داخل (الأسوار)، والأرض مدمرة خارجها."

وفي تضرع الكورس راجين هزيمة إله الحرب أريس كناية عن الحرب البيلوبونيسية ذاتها، التي يعتبرها وحشًا فتاكًا، يتمنى أن يدير ظهره تاركًا أرض الأباء **παλίσσυτον δράμημα νωτίσαι πάτρας ἄπουρον,**[٣٣]، كما أن الكورس في تضرعه للإله ابولو يستخدم الفعل **θέλοιμ'** في صيغة التمني، مما يوحي برغبتهم في أن تصيب سهامه الإله أريس، سبب الكارثة[٣٤]، فهو إله غير مكرم بين الآلهة **τὸν ἀπότιμον ἐν θεοῖς θεόν** [٣٥]، فقد امتلأ العالم السفلي بالآهات والدموع بسببه **στεναγμοῖς καὶ γόοις** [٣٦].

وكان اهتمام سوفوكليس منصبًا على التأثير الدرامي للوباء، فلم يهتم بذكر الأعراض الجسدية للمرض –على عكس ثوكيديديس– وركز على الأسلوب فقط، ففي

---

(٢٨) كان الإله أريس حاميًا لمدينة كادموس في مسرحية "السبعة ضد طيبة" للشاعر ايسخيلوس. انظر الأبيات ١٠٤-٥، ١٠٦-٧، ١٣٥-٦، ٢٠٢.

(29) Knox ,B.M.W.1956, pp138-140

(30) Soph. O. T. 177, 191-92

(31) Knox, B.M.W. 1956, p139, 141, Soph. O. T. 166

(32) Thuc.2.54.1

(33) Soph. O.T. 193-94

(34) Mitchell-Boyask, R., 2007. p57 , Λύκει' ἄναξ, τά τε σὰ χρυσοστρόφων ἀπ' ἀγκυλῶν βέλεα **θέλοιμ'** ἂν ἀδάματ' ἐνδατεῖσθαι ἀρωγὰ προσταθέντα, Soph. O.T. 203-6

(35) Soph. O.T. 215

(36) Soph. O.T. 30

البيتين (٢٣-٢٤) يستخدم الإستعارة في وصف المدينة **κἀνακουφίσαι κάρα βυθῶν ἔτ' οὐχ οἵα τε φοινίου σάλου**، حيث شبه المدينة بالإنسان الذي لا يستطيع أن يقيم رأسه بسبب المرض الفتاك **φοινίου σάλου**، فهو يشير إلي الوباء بإنه مرض قاتل.

ويستخدم سوفوكليس الأفعال والصفات التي تعبر عن الدمار الذي خلفه الوباء دون أن يستخدم كلمة **λοιμός** ذاتها، فيكرر مثلًا الفعل **φθίνουσα**[٣٧] الذي يحمل دلالة التدمير والهلاك، ليؤكد تأثير الوباء المدمر على مدينة طيبة، ويصفه بأنه مرض غير قابل للشفاء **ἀνήκεστον**[٣٨]، فهو كارثة حلت بمدينة أثينا جعلت "الأرض مكتئبة" **γᾶς προπονουμένα** (البيت٦٨٥)، مستخدمًا كلمة **θαναταφόρα** (جالب الموت) للدلالة على الوباء، حيث انتشر الموت وهلكت المدينة **ὄλλυται ... πόλις**، (الأبيات١٧٩-١٨١)، والزوجات والجدات تنتحبن وتتأوهن على المذابح راجيات النجاة من هذا الوباء (البيت ١٨٥) **λυγρῶν πόνων ἱκετῆρες ἐπιστενάχουσι.**، ويعبر الكورس عن تأثير الوباء (البيت ١٥٣) قائلًا:

Ἐκτέταμαι φοβερὰν φρένα, δείματι πάλλων,
ادعم قلبي المرتعب، ولكني ارتعش من الرعب.

أما عن وسائل العلاج، فلم يسع أحد بالمسرحية إلى إحضار الطبيب لإنهاء الوباء، حيث إنهم قد تعاملوا مع الوباء بمنظور ديني[٣٩]، فتضرع الشعب إلى ما لا يقل عن سبعة آلهة للتخلص من هذا الوباء طالبين الرحمة، فناشدت الجوقة الآلهة، أثينا وزيوس وأرتميس وأبولو، لإنقاذ المدينة من الكارثة[٤٠]، كما طلبوا من نبوءة دلفي حل الموقف (الأبيات٦٨-٧٢)، مما يوضح أنه وباء عصي على الشفاء.

يوضح ميتشيل بوياسك أن أوديب بمسرحية "أوديب ملكًا" يقول إنه قد عانى من المرض بعد أن أنقذ المدينة من مرضها العظيم، وإنه لن يعاني منه مرة أخرى، وهو

---

(37) Soph. O.T. 25-26

(٣٨) الأبيات ٩٧-٩٨. يقول ميتشيل بوياسك إن مسرحية "هيبوليتوس" للشاعر يوريبيديس تحمل تلميحات إلى وباء أثينا باستخدام مفردات بعد البيت ٩٣٦، مثل قوله "إنه مستنقع لا يستطيع ثيسيوس الهروب منه بسهولة"، وبالتالي يمكن أن نقول إن هذه اللغة تشير إلى المفاهيم الأولية للعدوى بالوباء، حيث إن تاريخ مسرحية "هيبوليتوس" حوالي عام ٤٢٨ ق.م.، أي في غضون تفشي الوباء في مدينة أثينا. Mitchell-Boyask, R. 2007, p46

(٣٩) Finnegan, R.1999, p60 ، تفتتح المسرحية بحرق البخور على المذابح في جميع أنحاء مدينة طيبة، تضرعًا للآلهة لإنهاء أزمة الوباء (البيتين٣-٤)، وهي وسيلة للتطهير، حيث يستخدم أبقراط النار والأبخرة كنوع من التطهير، وهكذا تعتبر هذه الوسيلة من الشعائر الدينية ووسيلة طبية للتطهير، وكان المصريون يلجأون لهذا الإجراء -كما يقول بلوتارخوس في أسطورة ايزيس واوزوريس- حيث كانوا يشعلون الأبخرة على المذابح خلال الظروف المناخية غير الصحية. Plu. Isis and Osiris 38.3a-c, Pinault, R.J. 1986, p68.

(40) Soph. O. T. 160-165

يتفق في هذا مع ما أكده ثوكيديديس أن الوباء لا يهاجم الشخص ذاته مرتين بصورته الشرسة[٤١].

معالجة ثوكيديديس للوباء "λοιμός".

وبعد أن تناولت موضوع الوباء في مجال الدراما عند سوفوكليس وأسلوبه ذي الطابع الدرامي، نتجه الآن إلى مجال آخر وهو التاريخ، حيث يعتبر عمل "تاريخ الحرب البيلوبونيسية" **ιστορία του Πελοποννησιăκου πόλεμου** للمؤرخ ثوكيديديس المصدر الأدبي الرئيس عن وباء أثينا[٤٢]، ففي الكتاب الثاني من هذا العمل يسجل ثوكيديديس بشكل موضوعي[٤٣] وباءً شديدًا دمر مدينة أثينا بين عامي٤٣٠ و٤٢٩ ق.م.، ويركز في هذا الكتاب على جمع الأدلة بشكل تحليلي دقيق[٤٤].

ولم يكن الوباء متوقعًا في خطة بركليس الذي قام بنقل السكان إلى داخل أسوار مدينة أثينا، مما أدى إلى تفاقم أثار الوباء[٤٥]، ومع هذا يحرر بركليس نفسه من أي مسئولية، فيقول: "يجب على المرء أن يتحمل بشجاعة ما تأتي به السماء، وما يفعله العدو"[٤٦].

يستخدم ثوكيديديس في أسلوبه وسيلة الترتيب الزمني في وصفه التفصيلي لأحداث الوباء[٤٧]، حيث يبدأ بالحديث عن تعرض مدينة أثينا لوباء عام٤٣٠ق.م. أثناء حصار أسبرطة خلال الحرب البيلوبونيسية٤٣١-٤٠٤ق.م.[٤٨]، وبعد ثلاث سنوات ظهرت موجة ثانية عام ٤٢٨ق.م.، حيث معظم السكان قد أصيبوا به، وموجة أخرى في شتاء٤٢٧-٤٢٦ ق.م.، حيث استمر خمس سنوات، وكان ذا هجمة شرسة، ومعدل عال من الإصابة في مختلف الأعمار والأجناس[٤٩]، وفقدت المدينة ثلث سكانها، وكان القائد بركليس[٥٠] أحد ضحايا هذا الوباء عام ٤٢٩ ق.م.

---

(41) Mitchell-Boyask, R. 2007, p63 , Thuc.2.50.6

(42) Powell, C. 2013, p3

(43) Thuc. 2.47-55

(44) Powell, C. 2013, pp9,10

(45) Powell, C. 2013, p4 ,Thuc. 2.48.1

(46) Karl-Heinz, L.1991, p150, Thuc. 2.48.3, 2.64.2

(47) Bellemore, J. 1994, p521 , Thuc 2.47.3

(٤٨) يقول المؤرخ ليفي في "تاريخ روما" 4.30.8-10, 4.25.3-4, 4.20-21 "حدثت الأوبئة في روما سنة ٤٣٣ و٤٣٨ق.م."، وبمقارنه هذا التاريخ بتاريخ حدوث الوباء في أثينا، ربما تكون أوبئة روما هي بداية وأصل وباء أثينا.

(49) Powell, C. 2013, p456

(٥٠) وهذا يتفق مع وصف بلوتارخوس لموت بركليس، حيث يقول: توفى بركليس عن عمر ٦٥ سنة في الموجة الأولى من الوباء، وكذلك أخته ٦٠ سنة، واثنان من أبنائه أعمارهم ٣٠ سنه و٢٥ سنة .Moliken, P. 2005, pxxvi, Plu. Life of Pericles 36.3-4, 38

ويذكر ثوكيديديس أماكن تفشي المرض، حيث اعتبره مرضًا وافدًا انتشر في أثيوبيا ومصر وليبيا والشرق الأدنى قبل وصوله إلى ميناء بيرايوس، ومنه إلى المدينة، حيث قضى على عائلات بأكملها، وتركت الجثث دون دفن بسبب كثرتها[٥١]. لم يذكر ثوكيديديس معدل الإصابة، ولا معدل الوفيات، ولا سرعة تطور الوباء، لكنه يظل محتفظًا بتفسير الأطباء العقلي للوباء[٥٢]، فيؤكد أن الذي ساعد على انتشار الوباء هو سوء التهوية وعدم النظافة والإزدحام، ومع ذلك فعلى الرغم من تعامل الأثينيين مع جيش اسبرطة، إلا أن المرض لم ينتشر خارج أسوار المدينة، فيقول ثوكيديديس: "إن المرض لم يدخل إلى البيلوبونيسوس، ربما لقلة عدد سكانها، مما ساعد على انخفاض معدل الإصابة[٥٣]. ويؤكد ثوكيديديس أن الاسبرطيين يصممون على الحرب مع وعد من الإله أبولو بالمساندة في الحرب[٥٤]، فعلى الرغم من علم الاسبرطيين بتفشي الوباء، إلا إنهم لم يخشوا هذا الوباء[٥٥]، وهنا يقدم ثوكيديديس إشارة ضمنية بدور إلهي في الحرب، ليربط الوباء بالحرب وبالإله أبولو، فلا توجد عند ثوكيديديس إشارة صريحة لسبب إلهي للوباء[٥٦].

وعن وصف ثوكيديديس للوباء يؤكد أنه شرس سريع الانتشار، حيث حصد ٢٦% من جنود المشاة في ٤٠ يوم، و٣٤% من المحاربين، و٣٠% من الفرسان، مما يشير إلى أن الموجة الأولى كانت الأسوأ على الاطلاق[٥٧]، حيث يقول:

ὥστε Ἀθηναίους γε μὴ εἶναι ὅτι μᾶλλον τούτου
ἐπίεσε καὶ ἐκάκωσε τὴν δύναμιν· Thuc.3.87.3.2.2- 3.87.3.1

لذلك تأثر الأثينيون به أكثر من أي شيء آخر، وأصبحوا ذوي قوة مشلولة.

كما يوضح ثوكيديديس أن الأكثر عرضه لخطر العدوى هم الأطباء، إلا إنه لم يقدم دليلاً إحصائياً حول أعداد الموتى والناجين، ويحاول أن يضع بعض التكهنات حول أسباب الوباء الغامضة، فيؤكد أن النظام الغذائي للأثينيين لم يتغير أثناء الحرب حتى يكون تفسيرًا لانتشار المرض[٥٨]، كما أنه من الصعب أن تكون أمدادات المياه في أثينا وبيرايوس ملوثة، لأنها مستمدة من نهر اليسوس ومن الآبار، لكن ربما تكون

---

(51) Smith, H. 2006, p85, Powell, C. 2013, p459, Thuc 3.87.2-3, 2.48.3
(52) Jacques, J. 2012, p9
(53) Powell, C. 2013, p460, Thuc. 2.54.5
(54) Morgan, T. 1994, p363 , Thuc.2.54.4–5
(55) Kallet, L. 2013, p366 , Thuc.2.47
(56) Kallet, L. 2013, p371, Knox, B.M.W.1956, p138 وانظر
(57) Thuc. 3.87.3
(58) Powell, C. 2013, p15

صعوبة المعيشة والإزدحام داخل أسوار المدينة ساعدت على سرعة تفشي الوباء، حيث إن الوضع كان كارثيًا، والموتى يترامون في الشوارع والخيام[٥٩]. يصمت ثوكيديديس عن إنجاز أبقراط للحد من هذا الوباء، حيث إن أبقراط قاوم الوباء من خلال بناء شعلة عظيمة عملت على تصحيح الطقس غير الصحي الذي تسبب في تفشي الوباء[٦٠].

<u>اللغة والوباء عند ثوكيديديس</u>

كانت كلمة **νόσος**، وكلمة **νόσημα** كلمتين شائعتين للدلالة على المرض عند الأطباء، وكانت كلمة **νόσος** أكثر شيوعًا من **νόσημα**، حيث تُستخدم الأخيرة للدلالة على مرض بعينه، في حين يستخدم ثوكيديديس الكلمتين **νόσος**، **νόσημα** للدلالة على الوباء[٦١].

أما كلمة **λοιμός** كانت نادرة الاستخدام عند ثوكيديديس، وكانت المرة الأولى التي يرد فيها ذكر الوباء عند ثوكيديديس في الكتاب الأول من عمله "تاريخ الحرب البيلوبونيسية"، حيث يستخدم الصفة **λοιμώδης** مع كلمة **ἡ νόσος** في سياق الحديث عن الكوارث التي شهدتها أثينا خلال الحرب البيلوبونيسية، معتبرًا الوباء ذروة هذه الكوارث، فقد جمع ثوكيديديس كل الكوارث بداية من الكوارث الكونية حتى تلك التي تصيب الإنسان نتيجة سوء الحظ، وجعل الوباء أعظم هذه الكوارث[٦٢]، فيقول:

αὐχμοί τε ἔστι παρ' οἷς μεγάλοι καὶ ἀπ' αὐτῶν καὶ λιμοὶ καὶ ἡ οὐχ ἥκιστα βλάψασα καὶ μέρος τι φθείρασα <u>ἡ λοιμώδης νόσος</u>· Thuc.1.23.3.6-8

كانت هناك موجات جفاف كثيرة في أماكن مختلفة وما تبعها من مجاعات، وكانت الزيارة الأكثر كارثية والقاتلة بشكل فظيع هو المرض الوبائي.

ويوضح ثوكيديديس أن النبوءة تركت للأثينيين الاختيار بين المجاعة **λῑμός** والوباء **λοιμός**، واختار الأثينيون الوباء الذي جاء بالمجاعة، وهذا يوضح مدى إدراك ثوكيديديس لدور اللغة في تصوير المرض والمعاناة، حيث استخدم الجناس الناقص

(٥٩) Powell, C. 2013, p17، يتحدث اريستوفانيس عن هذا الازدحام والتكدس وسوء النظافة في مسرحية "الفرسان" البيت ٧٩٢.

(60) Pinault,R.J. 1986, p52

(61) Thuc. 2.51.1.1, Page, D. I. 1953, p100

(62) Parry, A.1969, p113, Thuc. 2.47.3

ليربط المجاعة بالوباء[63] الذي أتى على كل خيرات الأرض. لم يستخدم ثوكيديديس أسلوب الأطباء المقتضب، بل يقدم وصفًا للوباء يتناسب مع أغراض قصته من خلال أسلوب عرضه للأحداث واختياره للأفعال المناسبة، ففي حين يستخدم الأطباء صيغ من الفعل **θνήσκω** للتعبير عن حالة الموت، لم يستخدم ثوكيديديس فعلًا بعينه للدلالة على الموت، بل تنوع في استخدام الأفعال التي يصف بها الوباء(٤٩-٥٣)، فيستخدم الفعل **διαφθείρω** (يدمر)(٦) مرات، والفعل **ἀπόλλῡμι** (يدمر) مرة واحدة، والفعل **θνήσκω**(يموت – يهلك)(٤) مرات، وذلك بغرض عدم التكرار. كما أنه يستخدم الشكل الشعري من الفعل **θνήσκω** أكثر من الفعل المركب **ἀποθνήσκω** في كتاباته[64].

يربط ثوكيديديس كثيرًا بين كلمتي المرض **ἡ νόσος** والحرب **ὁ πόλεμος**، فيستخدم في وصف الوباء أفعالًا ذات دلالة عسكرية أكثر من الأفعال التي تحمل دلالة طبية[65]، وذلك ربما ليوضح أن الوباء أشد قسوة من الهجمات العسكرية، ومن الأفعال التي يستخدمها ثوكيديديس مع الوباء **συναίρω** يقهر، **νῑκάω** يتغلب، **ἐπιπίπτω** يهاجم، **εἰσπίπτω** يهاجم[66]، ويستخدم كذلك المفردات **ἡ δύνᾰμις** قوة، **ἡ μεταβολή** انتقال (التي تعد كناية عن الموت)، وهي ذاتها المفردات التي يستخدمها في حديثه عن الحرب[67]. ويقول مورجان إن أسلوب ثوكيديديس دقيق، لكنه درامي خيالي غرضه إظهار قوة المرض الكارثية الطارئة، أما عن تركيب الجملة فهو متنوع، وغالبًا ما يحتوي على أفعال قوية وغير متوقعة بغرض تأكيد فكرته[68].

ويبدو أن ثوكيديديس اطلع على كتابات أبقراط الطبية، فيقول باول Powell إن ثوكيديديس يبدأ الفصل ٤٩ من الكتاب الثاني بوصف مختصر لما يسميه أبقراط **κατάστᾰσις**، أي الحالة أو الظروف العامة السائدة وقت تفشي المرض، ثم يرصد الأحداث دون تعليق، ويختتم بسرد المضاعفات[69]، ويقال إن هناك ما يقرب من(٤٠) مصطلح طبي متخصص استخدمهم ثوكيديديس في الفصلين ٤٩ و٥٠ من الكتاب

(٦٣) يربط هيرودوت كذلك بين **λῑμός** و**λοιμός** 7.171.2، حيث يعبر عن الوباء الذي عانى منه الكريتيين في الحروب الطروادية، عندما عادوا إلى ديارهم ووجدوا قطعانهم نافقة بسبب الجوع والوباء، لدرجة أصبحت كريت مهجورة.

(٦٤) الفعل **διαφθείρω** 2.49.6.4, 2.49.7.1, 2.50.2.1, 2.51.5.4, 2.51.6.7, 2.53.3.2، والفعل **θνήσκω** 2.51.2.1, 251.4.5, 2.51.6.1, 2.53.1.4، والفعل **ἀπόλλῡμι** 2.51.5.2

(65) Mitchell-Boyask, R. 2007,p43, Swain, S. 1994, pp306-307

(66) Parry, A.1969, p116

(67) Allison, J.1983, p16, Thuc. 2.48.3

(68) Morgan, T.1994, p201

(69) Page, D. I.1953, p98 , Parry, A.1969, p106

الثاني، ولا يظهر في أي مكان آخر من عمل ثوكيديديس، مما يؤكد اطلاعه على مؤلفات أبقراط الطبية التي يعكسها بأسلوبه في روايته عن الوباء[٧٠]، ويلاحظ فينيجان Finnegan قوة تأثير أبقراط على أسلوب المؤرخ ثوكيديديس وخاصة في إيمانه بأن المتابعة السريرية للمريض هي أفضل طريقة في ظهور العلاج من خلال تتبع مسار وتطور المرض[٧١]، لكن يري باول أن ثوكيديديس يستخدم أسلوبًا أدبيًا وليس أسلوب الأطباء المتخصصين، لأنه يكتب لجمهور غير متخصص، حتى يجعل المعلومات في متناول الجميع[٧٢].

وتعد المقابلة والتضاد من الوسائل الأسلوبية التي يستخدمها ثوكيديديس في الكتاب الثاني، حيث يصور الخطبة الجنائزية التي ألقاها بركليس 46–2.35، ويتبعها بوصف الوباء 50–2.47، وما يتبعه من تأثير سياسي واجتماعي 54–2.51، ثم يختتم بخطاب بركليس من أجل رفع معنويات الأثينيين بعد هذه المعاناة القاسية، وهي ثلاث فقرات متناقضة، تظهر تباينًا ملحوظًا في سلوك الأثينيين، فالفقرة الأولي عبارة عن خطبة جنائزية تبرز السلوك المتحضر للأثينيين، حيث يستخدم كلمة **ὁ νόμος** للدلالة على أعراف دفن أبطال الحرب[٧٣]، في مقابل كلمة **ἀνομία** التي تدل على تخلي الأثينيين عن معايير الحضارة وانهيار الأعراف الاجتماعية في محاولة التخلص العشوائي من جثث الموتى أثناء كارثة الوباء[٧٤]، كما يتحدث بركليس في خطبته عن أسلافه بشرف، وأنهم كانوا يحترمون القوانين المكتوبة وغير المكتوبة، ويتحدث كذلك عن الرجال الصالحين ذوي الفضيلة **δικαιοῦντες** الذين قاتلوا بنبل **γενναίως** من أجل أثينا، لكن من توابع الوباء سقوط الأثينيين أخلاقيًا لدرجة أنهم لم يدفنوا موتاهم خوفًا من انتقال العدوى إليهم، فقد كان الوباء بداية الفوضى العظيمة[٧٥]، فيصف الرجال في أزمة الوباء بالوقحين **ἀναισχύντους**[٧٦]، ثم الفقرة الأخيرة التي تمثل خطاب بركليس الذي يعطي الأثينيين الإرادة لاستكمال حياتهم[٧٧].

يصف ثوكيديديس الوباء بتفاصيل مرعبة، فهو يترك ضحاياه في حالة ضعف شديد في الذهن والجسد[٧٨]، ويتسبب في حالة من الإحباط وفقدان الرغبة **ἀθυμία** [٧٩]،

---

(70) Powell, C. 2013, p 11,12
(71) Finnegan, R. 1999, p 26
(72) Powell , C. 2013, p13
(73) Thuc. 2.34.1,8 , 2.35.1,3 , 2.46.1
(74) Thuc. 2.52, 2.53
(75) Thuc. 2.37.2-3, 2.41.5, 2.53, see: Thuc. 2.36, 2.44 , 2.52
(76) Thuc, 2.52.4
(77) Bellemore, J. 1994, p528
(٧٨) انظر هوميروس il.1.47-53 ، ومسرحية "الفرس" البيت ٥١٤ للشاعر ايسخيلوس.
(79) Thuc. 2.51.4

وكان بداية للفجور وانهيار الأعراف في المجتمع الأثيني، حيث بحث الرجال عن اللذة فقط، ورفضوا القتال[٨٠]، وأصبحوا غير مبالين **ἐς ὀλιγωρίαν** يتصرفون كما لو كانوا يعيشون أبدًا[٨١]، وبهذا يعد سلوك البشر بسبب هذا المرض مرضًا في حد ذاته، لذلك كان السرد المباشر لتمجيد مدينة أثينا بعد خطبة بركليس أسلوبًا متعمدًا من المؤرخ بغرض حماية البوليس، وعدم أنتاج أخرى مريضة متأثرة بالأحداث، حيث تسبب هذا الوباء في تراجع مكانة أثينا، وهكذا استطاع ثوكيديديس أن ينقل صورة انهيار المجتمع بمهارة أدبية فائقة من خلال التناقض وعقد مقارنات غير مباشرة.

وبالرغم من أن الفضيلة من المثل العليا في الثقافة اليونانية[٨٢]، حيث تظهر كلمة **ἀρετή** (١٣) مرة[٨٣] في الخطبة الجنائزية، يعتبرها المؤرخ صفة وميزة لمن تجرأ على زيارة المريض بعد أن استسلم الجميع، ويبدو أن الغرض من ذلك متعمد، وهو الشفقة[٨٤]، حيث يحاول ثوكيديديس أن يوفق بين مأساة أحداث الحرب وشفقة الجمهور على حال المرضى، وما ذكره بركليس في الخطبة الجنائزية من مُثل سليمة، لذلك يرى باول أن أعراض الوباء التي ذكرها ثوكيديديس غير دقيقة، لأنه يستخدم رخصته الدرامية في روايته عن الوباء، لكن هذا يتعارض مع قول ثوكيديديس ذاته، إنه يصف الأعراض حتى يمكن التعرف على المرض في حال ظهوره مرة أخرى[٨٥].

ἐγὼ δὲ οἷόν τε ἐγίγνετο λέξω, καὶ ἀφ' ὧν ἄν τις σκοπῶν,
εἴ ποτε καὶ αὖθις ἐπιπέσοι, Thuc.2.48.3.5-6

سأقوم ببساطة بتحديد طبيعته، وتسمية الأعراض التي قد يتعرف الطالب عليه من خلالها، إذا هجم مرة أخرى.

ويستخدم ثوكيديديس أيضًا في وصفه لأحداث تفشي الوباء وسيلة اختصار الإطار الزمني، فقد مرت عدة شهور بين خطبة بركليس في الشتاء وظهور الوباء في الصيف التالي، ولكن ثوكيديديس يقصر هذه الفترة إلى ٦ أسطر فقط، ويصف المرض في ثلاثة فصول قصيرة بأجمالي ٧٢ سطر، ثم يصور تدهور أثينا المطول بسبب الوباء ليشعر القارئ بجرعة مكثفة من آثار الوباء الأخلاقية والنفسية، فيخلق شعورًا باليأس الساحق[٨٦]، وذلك بغرض الشفقة على وضع الأثينيين من أجل اظهار

---

(80) Morgan, T. 1994, p205
(81) Bellemore, J. 1994, p530, Thuc. 2.52.4
(82) Thuc. 2.51.5- 53.1
(٨٣) كلمة **ἀρετή** , 2.35.1.7 , 2.36.1.4, 2.37.1.7, 2.40.4.1, 2.40.5.1, 2.42.2.3
2.42.2.5, 2.45.1.4 ,2.45.2.1, 2.45.2.5, 2. 46.1.5, 1.2.4.1, 1.123.1.5
(84) Allison, J.1983, p14
(85) Powell, C. 2013, p459
(86) في هذا انظر Thuc. 2.47, 2.48-50, 2.51-54

التباين بين القيم العليا في الخطبة الجنائزية والتدهور الذي أصاب أثينا بسبب الوباء الرهيب، بغرض اظهار تأثير الحرب البيلوبونيسية المدمر، وما صاحبها من وباء كارثي على مواطني أثينا، فيصف ثوكيديديس النداءات البائسة للآلهة 2.47.4، ثم يصف أعراض الوباء ومعاناة الضحايا وعجز جميع الأفراد، سواء الذين يحاولون المساعدة أو الذين يموتون جراء هذا الوباء، ثم يعيد القارئ لحال المجتمع الأثيني عندما يصف انغماس المجتمع في العادات السيئة وتدمير القوانين وانهيار البوليس[87].

أعراض الوباء كما ذكرها ثوكيديديس.

يعد ثوكيديديس هو المصدر الرئيس للمعلومات عن وباء أثينا، حيث إن مؤلفات أبقراط الطبية لا تتضمن أية معلومة عن هذا المرض[88]، لذا يبدو أن ثوكيديديس درس موضوعه بعناية، فقد عانى هو نفسه من هذا الوباء[89]، ولذلك فقد سجل ملاحظاته بدرجة عالية من الدقة الفنية بأسلوب واضح منهجي، ولم يعتمد على مجرد الإستماع للأخرين، فقدم وصفًا تفصيليًا لأعراض الوباء في أثينا، وقد نسجها بإختصار في رواية عن الدمار الذي خلفته الحرب[90]، ونظرًا لأن البلاد لم تواجه مثل هذا الوباء من قبل، فإن ثوكيديديس كانت لديه الرغبة في تحذير الأجيال القادمة من هذا المرض في حال ظهوره مرة أخرى[91]، وتوضح رواية ثوكيديديس أن أماكن كثيرة تأثرت بالوباء، لكن مدينة أثينا كانت أكثر هذه الأماكن تأثرًا، فكان المرض بها أشد صعوبة **χαλεπωτέρως**، فلم يتذكر أحد تأثيره في الأماكن الأخرى[92]، حيث يقول:

οὐ μέντοι τοσοῦτός γε λοιμὸς οὐδὲ φθορὰ οὕτως
ἀνθρώπων οὐδαμοῦ ἐμνημονεύετο γενέσθαι. Thuc.2.47.3

في حين وباء بمثل هذه الطبيعة وهذا الدمار
لا يستطيع أي شخص أن يتذكره في أي مكان أخر.

ويستخدم ثوكيديديس تعبيرات وتشبيهات من أجل التأثير البلاغي، فيذكر أن المرضى يموتون كالخراف **ὥσπερ τὰ πρόβατα ἔθνῃσκον**، ولا أمل لهم في النجاة، فكل شيء بلا جدوى **πάντα ἀνωφελῆ ἦν** ، وجثث الموتى مكدسة غير مدفونة **ἀτάφων**، والمصابين في الشوارع[93]، كما يفصل ثوكيديديس الوباء عن بقية الأمراض،

(87) Kallet, L. 2013, p361, Thuc. 2.53
(88) Karl-Heinz, L.1991, p128
(89) Thuc. 2.48.3
(90) Powell, C. 2013, p 458, Thuc 2.47-55
(91) Bellemore, J. 1994, p 522 ، Thuc.2.48.3-49.8
(92) Kallet, L. 2013, p 357, Thuc. 2.50.1
(93) Thuc. 2.51.4.5, 2.47.4.5, 2.50.1 , Bellemore, J. 1994, p531

عندما أشار أن الوباء وتأثيراته صعبة الفهم **κρεῖσσον λόγου**[٩٤]، فلا جدوى من أي علاج، فهو فوق طاقة البشر، لا ينفع ضده أي سلاح بشري[٩٥].

وقد أشاد بلوتارخوس بأسلوب ثوكيديديس المذهل في وصف الوباء، ويأس ضحاياه، حيث يقول:

> **καὶ τῶν ἱστορικῶν κράτιστος ὁ τὴν διήγησιν ὥσπερ γραφὴν πάθεσι καὶ προσώποις εἰδωλοποιήσας. ὁ γοῦν Θουκυδίδης ἀεὶ τῷ λόγῳ πρὸς ταύτην ἁμιλλᾶται τὴν ἐνάργειαν, οἷον θεατὴν ποιῆσαι τὸν ἀκροατὴν καὶ τὰ γινόμενα περὶ τοὺς ὁρῶντας ἐκπληκτικὰ καὶ ταρακτικὰ πάθη τοῖς ἀναγινώσκουσιν ἐνεργάσασθαι λιχνευόμενος.**
> **Plu. Moralia, De Gioria Atheniensium 347a4-9**

> وأفضل المؤرخين هو الذي يصور روايته بالأحداث والأشخاص مثل اللوحة، وبالطبع ثوكيديديس يسعى دائمًا لهذا الوضوح في أسلوبه، حيث (يرغب أن) يجعل المستمع مشاهدًا، راغبًا أن ينتج مشاعر الأعجاب والذعر للقراء، كما لو كانوا يشاهدونها.

ويستعرض ثوكيديديس أعراض الوباء تفصيلًا، فيقول: إن الإصابة بالوباء تحدث دون سبب، وتبدأ بالإحساس بحرارة شديدة بالرأس، وإحمرار وحرقان بالعين، أما الحلق واللسان يصابان بالإلتهاب، وينبعث من الفم رائحة كريهة مع عطس وبحة في الصوت، ثم ينزل المرض إلى الصدر مصحوبًا بسعال عنيف، وضيق في التنفس وترجيع العصارة الصفراوية[٩٦]، وقد عانى معظم المرضى من تشنجات عنيفة، لكن بعض الحالات كانت تعاني من بثور وقروح صغيرة وحرارة شديدة، بحيث لم يتمكن الضحايا من تحمل وضع اللفائف، ولكنهم كانوا ينزلون عراة في الماء البارد الذي من شأنه أن يعطي أكبر قدر من الراحة، وكانوا يشعرون بالعطش الشديد وعدم الراحة والأرق[٩٧]، ويضيف ثوكيديديس أن المريض يكون منهكًا تمامًا في اليوم السابع أو التاسع، وقد يموت خلال هذه الفترة، وإذا نجا المريض من هذه الأعراض، ينزل المرض إلى الأمعاء، حيث يشكل أعراضًا شديدة مع إسهال، وهي حالات تنتهي في معظم الأحيان بالموت، وإذا تعافى المريض من أسوء الآثار، ظهرت أعراض على شكل نوبة في الأطراف وأصابع اليدين والقدمين، وقد نجا الكثيرون ببتر هذه

(94) Swain, S. 1994, p313, Thuc. 2.50.1.1
(95) Parry, A.1969, p110
(96) Thuc. 2.48.3
(97) Page, D. I. 1953, p110

الأطراف، وفقد البعض عيونهم[٩٨]. لم يذكر ثوكيديديس شيئًا عن أعراض أخرى كالهذيان أو الغيبوبة أو أي تأثير على العقل بإستثناء فقدان الرغبة **ἀθῡμία** في الشيء، وفقدان الذاكرة[٩٩].

ويؤكد ثوكيديديس أن وباء أثينا كان معدياً، وأن أعراضه غير معروفة للأطباء **θεραπεύοντες ἀγνοίᾳ**، وأن الطيور الجارحة والوحوش ابتعدت عن الجثث المصابة، ويقول باج Page إن سبب تفشي الوباء وكثرة الوفيات لا يكمن في قلة العلاج، ولكن ربما في جهل المريض وقلة خبرته مما سمح بتطور المرض[١٠٠]، وكذلك خوف الأخرين من الإصابة بالعدوى، مما أدى بالمريض إلى الاكتئاب وإهمال الذات ثم الموت 2.51.4. وبناء عليه هل يقصد ثوكيديديس أن الوباء لم يكن شديد الضراوة، وبالتالي كان يمكن للمرضى أن ينجوا منه إذا تصرفوا بعقل راشد؟ لا اعتقد ذلك، فثوكيديديس يهدف إلى تقديم صورة قاتمة لمعاناة المجتمع الأثيني أثناء الوباء، فالأطباء كانوا عاجزين، وجميع المهارات كانت بلا جدوى، كما أن الكثير من تأكيدات

---

(98) Karl-Heinz, L.1991, p131, Bellemore, J. 1994, p523, Thuc. 2.49

(٩٩) Thuc. 2.49, Page, D. I.1953, pp111, 113 وبالرغم من عرض ثوكوديديس الواضح للأعراض السريرية لوباء أثينا، إلا أن الأطباء يختلفون في تحديد هذا المرض. توضح الدراسات الحديثة صعوبة التعرف على هذا المرض، فيرفض باول أن يكون هذا المرض هو الطاعون الدبلي أو الجديري، لأنهما لا يسببان الغرغرينا، ويرفض بيلمور أن يكون هذا الوباء هو مرض التيفوس، لأن التيفوس يظهر نتيجة التلوث، وعادة ما يكون تلوث المياه، وهذا غير موجود في أثينا، لأن مصادر المياه بها عذبة مستقلة، وهناك اعتقاد أن الاسبرطيين وضعوا السم في خزانات المياه في بيرايوس 2.48.2، لكن ثوكيديديس يرفض هذه الفرضية، أما بيلمور يقترح أن يكون المرض ناجم عن تسمم فطري من تناول القمح الذي كانوا يستوردونه، معتمدًا على قول ديودوروس الصقلي 12.58.3-5 "الحبوب التي كان يأكلها الأثينيون عام ٤٢٦ ق.م. كانت سيئة"، فربما كانت مسممة نتيجة سوء التخزين، Bellemore, J. 1994, pp542, 544، أما باول يستبعد أن يكون فساد الحبوب هو السبب، لأن ثوكيديديس لم يتحدث عن إصابة الاسبرطيين بتسمم، لأنهم بالطبع استولوا على بعض هذه المحاصيل قبل حرق الأراضي، ويقترح أن تكون الحشرات سببًا في تفشي المرض Powell, C. 2013,pp18,20، ويؤكد ميتشيل أن هذا الوباء هو حمى التيفود Mitchell-Boyask, R. 2009, p373، حيث إنه وباء ينتشر في ظروف غير صحية، وهي فترة تعرضت فيها أثينا للحصار والازدحام، لكن كارل هينز يقول إن التيفوس مرض غير معدي، لذا يعتقد أن أثينا تعرضت لوبائين معًا هما الجديري والتيفوس، لكن الأبحاث الحديثة تميل إلي صعوبة تحديد هذا الوباء، نظرًا لاختلاف الظروف البيئية والاجتماعية، وبالتالي اختلاف الأعراض السريرية بشكل كبير مما يصعب التعرف عليه Karl-Heinz, L.1991, pp141,143. ويقال ربما إنه مرض التيفوس لكن لا يوجد ما يثبت انتشار الفئران في أثينا في تلك الفترة، حيث إنها المسئولة عن تفشي هذا المرض، ويعتبر باج أن أقرب مرض للأعراض التي وصفها ثوكيديديس هو الحصبة، لكنه يؤكد أن فقدان الذاكرة ليس من مضاعفات الحصبة، أما الغرغرينا يمكن أن تصيب الفم والفخذين في حالة الحصبة، لكن الأبحاث لم تذكر أنها تصيب اليدين والقدمين. Page, D. I. 1953,pp114, 119

(100) Page, D. I. 1953, p112, Thuc. 2.47.4, 2.50.2, 2.51.6

ثوكيديديس مبالغ فيها، فالآراء المتشائمة داخل السياق الدرامي لوصف الوباء متناقضة بشكل واضح مع رواية ثوكيديديس في Thuc.2.54، التي تؤكد أن الأثينيين واصلوا حكم إمبراطوريتهم وواصلوا الحرب بقوة[١٠١].

يختلف الكثيرون في تحديد لغة ثوكيديديس، هل هي لغة تقنية متخصصة أم لغة الاستخدام اليومي، فيقول بيلمور Bellemore إن ما يقدمه ثوكيديديس لا يعد بمثابة تقرير علمي أو طبي عن وباء أثينا، بل مجرد رواية بلاغية تعبر عن انطباع الكاتب عن الوباء، غرضها خلق مناخ يعبر عن معاناة وانهيار المجتمع الأثيني، بل يعتبرها رواية غير مقبولة كدليل تاريخي، وأن ثوكيديديس ضلل القارئ غير المتخصص[١٠٢]، ويقول باول Powell إن ثوكيديديس يستخدم كلمات عامة كمصطلحات، فيستخدم كلمة **φλύκταινα** (التقرح) التي تصف العفن علي رغيف الخبز، وهي كلمة استخدمها أبقراط أيضًا ليصف التهاب الجلد، مما يجعل المفسرين يعتقدون أنها تشير إلى مرض الجديري والتيفوس[١٠٣]، ويتفق معه مورجان Morgan في أن مفردات ثوكيديديس ليست تقنية، وأن معظم مصطلحاته كانت شائعة في لغة الاستخدام اليومي والنصوص الطبية وغير الطبية، وبينما يبدى أبقراط اهتمامًا بالجانب التاريخي والجغرافي وبسرد أعراض المرض في كل يوم من أيام الإصابة، تكون لغة ثوكيديديس درامية خيالية تهتم بإظهار قوة المرض الطارئ[١٠٤]، في حين يعتقد ميتشيل بوياسك Mitchell-Boyask أن لغة ثوكيديديس لغة تقنية متخصصة وليست لغة الاستخدام اليومي، وأنه يستعير من مفردات أبقراط، ويستخدم لغة جادة ليست مجازية كلغة الدراما[١٠٥]، ويتفق معه في الرأي كل من جووم وباج Gomme & Page[١٠٦] اللذان يعتقدان أن بعض مصطلحات ثوكيديديس النادرة لا وجود لها إلا في الكتابات الطبية والأطروحات العلمية[١٠٧]، ويؤكد مورجان أن ثوكيديديس استعار مفردات يستخدمها أبقراط في حديثه عن الأمراض مثل **αἱμᾰτώδης** دموي، **φλόγωσις** دفء أو حرارة، أسود قاتم **πελιτνός**، أحمر غامق (ملتهب) **ὑπέρυθρος**، لكنه يستخدم أيضًا كلمات ومصطلحات لم يستخدمها الأطباء، ويؤكد فينيجان Finnegan أن ثوكيديديس يستخدم المصطلحات الطبية الشائعة في تلك الفترة بدقة شديدة ليوضح طبيعة المرض، مما يوضح تأثره بأبقراط، وأن الكتاب لجأوا إلى العلوم الطبية كمصدر للغة والأفكار، حيث

---

(101) Bellemore, J. 1994, p53

(102) Bellemore, J. 1994, p529

(103) Powell, C. 2013, p460

(104) Morgan, T. 1994, p199, Apud: Swain, S. 1994, p310

(105) Mitchell-Boyask, R. 2007, p42

(106) Apud: Parry, A.1969, p111

(١٠٧) Page, D. I. 1953, p109، ويقدم باج كتالوج كامل بالمصطلحات التي استمدها ثوكيديديس من كتابات أبقراط الطبية.

إن مفاهيم اللغة في تلك الفترة كانت غير كافية للتعبير عن أفكار جديدة[١٠٨]، ويقول سوان Swain إن ثوكيديديس يستخدم كلمات تحمل دلالة طبية، حيث كانت مهنة الطب راسخة، ففي تعليقه علي الحرب الأهلية في كوركيرا، يستخدم ثوكيديديس وصفًا تحليليًا، حيث أشار للأعراض الجسدية والنفسية للحرب وتأثيرها علي بلاد اليونان من خلال مصطلح يعبر عن حالة الأضطراب العميق الذي عانى منه العالم اليوناني **τὸ Ἑλληνικὸν ἐκινήθη**، فأعتبره "متشنجا"[١٠٩].

ويترك ثوكيديديس أسباب المرض للآخرين، سواء الأطباء أو غير المتخصصين، فهو لا يهدف إلى تقديم وسيلة للعلاج، بل يهدف إلى تقديم وصف دقيق لأعراض المرض[١١٠]، وهو نفس أسلوب كاتب "الأوبئة" epidemics i,ii، الذي يمتنع عن ذكر أسباب الأمراض، لكنه يصف أعراضها بدقة وموضوعية حتى يتعرف عليها حال ظهورها مرة أخرى[١١١]، ويمكن القول إن ثوكيديديس قد تأثر بلغة أبقراط، واستعار من كلماته، لكنه ليس ناسخًا للأفكار، بل مؤرخ أدبي يستخدم ما يناسبه من أفكار أبقراط، ويتخلى عما لا يلزمه، فهو لم يربط نفسه بالأطباء، لكنه يقدم قطعة رائعة من الملاحظة العلمية التي توضح شغفه العلمي، وكان هدفه الأساسي هو تسجيل حقائق يمكن أن تفيد الأجيال القادمة، حتى لا يتعاملوا مع الأمر بجهل يؤدي إلى تفاقم الكارثة.

إن الطبيعة البشرية عند ثوكيديديس هي أكثر من مجرد الطبيعة الجسدية التي هي بؤرة النصوص الطبية، فهو يؤمن بتطور طبيعة الإنسان، فقد كان الجانب النفسي والاجتماعي محط اهتمام ثوكيديديس[١١٢]، ومثلما نجح ثوكيديديس في وصف الأعراض الفعلية للوباء والمعاناة الجسدية لضحاياه من خلال مهاراته الأدبية[١١٣]، فإنه عرض الآثار النفسية والكارثية على المجتمع ككل، حيث إن الأثينيين أثناء تفشي الوباء لم يحترموا القوانين السائدة في مدينتهم، ولم يوقروا الآلهة واتهموها –وخاصة الإله أبولو– بمساندة إسبرطة في الحرب ونشر الوباء لتدمير الأثينيين، حتى تحوّلت معابد أثينا لمراكز إيواء للمصابين والموتى، فقد تبين للأثينيين عدم جدوى الممارسات الدينية.

(108) Finnegan, R.1999, p27
(109) Swain, S. 1994, p306 , Thuc.2.48.3, 49.6, 3.87.1 , 3.82.1.3
(110) Thuc. 1.22 , 2.48.3
(111) Parry, A.1969, p108-110
(112) Swain, S. 1994, pp319, 321
(113) Finnegan, R.1999, pp24,25

وبذلك يهدف ثوكيديديس إلى وصف الوباء الخطير لأنه حقيقة تاريخية حتى يمكن التعرف عليه في حال ظهوره مرة أخري[١١٤]، ويهدف كذلك إلى توضيح أن الحرب البيلوبونيسية كانت أعظم حرب، وكان يمكن للأثينيين الأنتصار فيها، إذا لم يدمروا أنفسهم أخلاقياً[١١٥]، وهذا يبرر الوقت والجهد الذي بذله في عرض الإجراءات السياسية والعسكرية وكثرة ضحايا الوباء، والكوارث التي تعرضت لها البلاد، حيث تعرضت لأسوء كوارث أكثر من أي وقت مضى، جفاف ومجاعات ووباء[١١٦]، وقد يكون غرض ثوكيديديس من عرض الوباء بهذه الصورة هو أن يوضح أن المرض استهدف الكيان الأثيني، وليس الأثينيين فقط، بغرض استهداف الكيان السياسي، حيث كان الأثينيون هدفًا للوباء حتي بعيدًا عن أثينا في حملة هجنون[١١٧].

يقول ميليلسلاد Millelslad إن صورة الوباء وأعراضه التي قدمها ثوكيديديس هي كناية عن تتابع الأحداث السياسية وانهيار جسم أثينا السياسي، فهو يوازي بين تطور أعراض المرض الجسدي والمناخ السياسي في أثينا، حيث يعبر ثوكيديديس عن قوة الإمبراطورية الأثينية بصورة جسد الإنسان ذي الرأس المسيطر، وأن المرض ضرب الرأس وامتد إلى باقي أعضاء الجسد، كما أن الوباء كناية عن الطموح المدمر غير المنضبط الذي دمر أثينا، وانتشر في أعضاءها الداخلية، وتسبب في موت بركليس، وامتد بعد موته إلى أطراف الإمبراطورية الأثينية[١١٨].

<u>معالجة الشاعر لوكريتيوس للوباء.</u>

يعتمد لوكريتيوس بشكل كبير في وصفه للوباء في عمله "في طبيعة الأشياء" De Rerum Natura على المؤرخ ثوكيديديس، مما يوضح إعجابه بقوة وصف ثوكيديديس للوباء[١١٩]، إلا إنه يستخدم أسلوبه الخاص، فكان يحذف ويضيف ويغير ويسهب في التفاصيل، أما الترتيب العام فقد حرص على الحفاظ عليه مستخدمًا أساليب شعرية وصور خيالية[١٢٠].

ويهدف لوكريتيوس إلى أن تُحل التفسيرات العلمية المبنية على إدراك الأسباب الحقيقية للظواهر الطبيعية محل العرض الأسطوري لها D.R.N. 6.535-638، لأن الأسطورة تنسب كل شيء إلى قوى الآلهة، وتجعل سبب الأمراض هو غضب الآلهة، فهو يفسر وباء أثينا بإعتباره ظاهرة طبيعية يمكن تفسيرها تفسيرًا علمياً، ولا يجب أن

(114) Morgan, T. 1994, p208
(115) Bellemore, J. 1994, p527
(116) Thuc. 1.23.3
(117) Kallet, L 2013, p367
(118) Millelslads, M.C.1968, pp145-54
(119) Morgan, T. 1994, p206
(120) Finnegan, R.1999, p34

تصاب النفس بالخوف والرهبة بسبب إعتقادهم أن الآلهة وراء كل ما يجري[121]، فهو يريد أن يطرد فكرة الخوف من الآلهة من خلال الحل الفلسفي بالبحث في الأسباب الحقيقية للظواهر الطبيعية، فلا جدوى من الخوف من الموت ومن الظواهر الطبيعية، لأن الإنسان ليس بإمكانه أن يغير نواميس الطبيعة[122]، ولأن الوباء مرض يخضع لنواميس الطبيعة التي لا يمكن تغييرها، ينبغي على الإنسان أن يتحمل عواقب هذا الوباء بعقل راجح حتى لا يؤثر على سلوكه وانفعالاته. الأمر الذي تنادي به تعاليم أبيقور، بتفادي الألم – سواء الجسدي أو العقلي- مما يؤدي إلى تحقيق حالة من الإشباع والهدوء تجعل الإنسان متحررًا من الخوف من الموت ومن عقاب الآلهة، وعندئذ يصل إلى حالة من السلام العقلي والهدوء"**ἀτᾰραξία**" تقود الإنسان إلى التصرف بعقلانية[123].

ويهدف لوكريتيوس إلى عرض صورة عامة للدمار الذي تجلبه الأمراض، فالوباء بالنسبة له هو نموذج لمعاناة البشر، فهو لم ينظر للوباء الذي واجهته أثينا كحقيقة أو كحدث تاريخي، لأنه لا يهتم بفكرة الزمان والمكان[124]، وتقرير الوباء عند لوكريتيوس يرمز إلى الحالة العقلية لغير الابيقوري، فرد فعل ضحايا الوباء يصور عدم قدرة غير الابيقوري على التغلب على كارثة طبيعية أو الوقوف في وجهها[125].

يعرض لوكريتيوس في الكتاب السادس من عمله "في طبيعة الأشياء" صورة مرعبة ومفصلة عن الوباء، والقتلى والمرضى في الشوارع وتأثير الوباء المميت على الحيوانات والطيور، وكذلك الآثار النفسية للمريض ويأسه بسبب رفض الجبناء مساعدته في محنته[126]، فقد تسبب المرض في انهيار العبادات الدينية[127].

وبينما يؤكد المؤرخ ثوكيديديس وجود أمل في نجاة المرضى وشفائهم من الوباء، ويرصد أن من ينجو من الوباء يحظى بمناعة من الإصابة بذات المرض مرة أخرى، يحذف لوكريتيوس دور الأطباء في التصدي للمرض، ويتجاهل كل العناصر التي قد تحمل بعض الأمل أو الخلاص من المعاناة والموت، بغرض أن يقدم ظاهرة مرضية ذات طبيعة مأساوية، وأن يترك قصة مفعمة بالرعب الذي لا مفر منه، وهكذا

---

(١٢١) علي عبد التواب ٢٠٠٧، ص ص ١٩٠-١٩١

(١٢٢) علي عبد التواب ٢٠٠٧، ص ١٩٣، Lucr. D.R.N.5.1194-1203

(١٢٣) لوكريتيوس ٢٠١٨، ص ٦٥

(124) Commager, H.S. 1957, p108

(125) Gale, M. 1994, p 230

(126) Finnegan, R. 1999, p32-34

(127) Gale, M. 1994, pp46-47, Lucr. D.R.N.1276-81

لم يرغب لوكريتيوس في أن يشعر قراءه بأية بارقة أمل، فالموت والألم بالنسبة له من الحقائق المطلقة[١٢٨].

يقول كوماجر إن لوكريتيوس كان يرغب في عمل مناخ سيكولوجي محل تقرير ثوكيديديس الجسدي، لكي يجعل وصفه أكثر تأثيرًا على النفس، فالمرض مستقر في النفس الإنسانية[١٢٩]، ولوكريتيوس يُحمل المواقف قدرًا من المغزى الأخلاقي ويكسبها بعدًا رمزياً[١٣٠]، بغرض التعبير عن أفكاره الابيقورية التي تهدف إلى تخليص النفس البشرية من الخوف الذي يسيطر عليها لحد كراهية الحياة[١٣١].

يظهر ذلك المناخ السيكولوجي في معالجة لوكريتيوس للوباء من خلال استخدامه كلمات وتعبيرات تحمل دلالة الحزن، منها: الصفة **maestus** (حزين)، حيث يستخدمها في أكثر من موضع للتعبير عن الألم النفسي الذي يعتصر ضحايا الوباء[١٣٢]،حيث يصف قلب المرضى بالحزين **maestum**، والحقول بالكئيبة **funestos** 6.1139، والريف بالحزين **maeror**، كذلك يتحدث عن ردود أفعال المتألمين أكثر من الوباء ذاته. ويكرر لوكريتيوس استخدام الكلمات التي تحمل دلالة الحزن والفزع والاضطراب النفسي، مما يدل على أنه يتناول موضوع الوباء كرمز للمرض النفسي، فيستخدم كلمة **Metus** (الخوف) مرتين (1183,1212)، و**Timor** (الخوف) مرة واحدة (1179)، و **Maeror** (الحزن) ٣ مرات (1183,1249,1259)، و**Maestus** (حزين) ٣ مرات (1152 ,1233 ,1281)، و**anxius angor** (اضطراب نفسي) مرة واحدة (1158)، و**Metuo** (افزع) مرتين (1208,1240)، و**Dolor** (ألم) مرتين (1202,1277)، و**Horridus** (مرعب) مرتين (1269, 1282)، و**Tristis** (الحزن) مرتين (1184, 1220)، فكل مرحلة من مراحل المعاناة الجسدية يضيف لها لوكريتيوس حالة عقلية بغرض التأثير العاطفي[١٣٣]، فيقول فيما يلى:

Mussabat tacito medicina timore, 6.1179

ويتحدث المعالجون المحيطون بفراش المريض بصوت منخفض
في ذعر لا يوصف[١٣٤].

usque adeo mortis metus his incesserat acer. 6.1212

---

(128) Bright, D.F. 1971, p609, Kazantzidis, G. 2018, p91

(129) Commager, H.S. 1957, p105f

(١٣٠) علي عبد التواب ٢٠٠٧، ص ص١٦٦،١٦٧

(131) Lucr. D.R.N. 3.79-80

(١٣٢) علي عبد التواب ٢٠٠٧، ص ١٦٥

(133) Bright, D.F. 1971, p619

(١٣٤) في ترجمة أبيات "في طبيعة الأشياء" للشاعر لوكريتيوس، تم الاستعانة بكتاب لوكريتيوس، في طبيعة الأشياء، ترجمة علي عبد التواب علي، صلاح رمضان السيد، سيد أحمد صادق، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠١٨.

فإلى حد بعيد يستولي على هؤلاء الناس رعب عظيم من الموت.

Illud in his rebus miserandum magnopere unum
aerumnabile erat, quod ubi se quisque videbat
implicitum morbo, morti damnatus ut esset,
deficiens animo maesto cum corde iacebat, 6.1230-33

يبدو أن ما يدعو للرثاء على نحو أشد بين كل تلك الظروف
الأخرى، والأمر الأعظم كمدا، هو أن يرى المرء نفسه قد
سقط فريسة للمرض، كأنما قضي عليه بالموت،
فيرقد حزين الفؤاد خائر العزم تمامًا.

ويستخدم لوكريتيوس كلمتي **anxius, angor** بصفة عامة في سياق الخوف والرغبة، ولم يستخدمهما في أي سياق للتعبير عن الألم الجسدي[١٣٥]، فيذكر-على سبيل المثال- الحالة النفسية للمرضى والمحيطين بهم صراحة فيقول:

Intolerabilibusque malis erat anxius angor
assidue comes et gemitu commixta querela.6.1158-59

وكان ألم الإضطراب النفسي ذا معاناة لا تحتمل
وامتزجت الشكوى بالأنين.

ويغير لوكريتيوس في بعض الحقائق في وصف أعراض المرض لكي يعطي بعدًا نفسياً للوصف، حيث يستخدم كلمة قلب **cor** 6.1151-3 محل كلمة ***καρδία***[١٣٦] التي يستخدمها ثوكيديديس في تقريره، فقد دأب لوكريتيوس على استخدام كلمة فؤاد على إنه محل الخوف والرغبة[١٣٧]، كما أنه أضاف جملة "ويصاب المرضى بالرعب الشديد" **graviter metuentes**، مما دفعهم لبتر الأعضاء المصابة بالمرض[١٣٨]، ومنها استئصال أعضائهم التناسلية التي ترمز إلى استمرار الحياة، وذلك فرارًا من الموت[١٣٩]، فقد سيطر عليهم رعب عظيم **metus acer** من الموت[١٤٠]، حرمهم من لذة الحياة.

---

(١٣٥) علي عبد التواب ٢٠٠٧، ص ١٧٥، وانظر Lucr. D.R.N. 3.992- 4, 3.853, 3.903, 6.14, 6.25

(136) Thuc. 2.49.3

(137) Lucr. D.R.N. 3.116, 874 ,6.14, 4.1059, 1138

(138) Lucr. D.R.N. 6.1208-12

(139) Commager, H.S. 1957, p108

(140) Lucr. D.R.N. 1212, 1208

لقد سار لوكريتيوس على نفس الترتيب الذي سار عليه ثوكيديديس في وصف الوباء، لكنه ركز على أن الموت ينتظر الإنسان في كل مراحل تطور المرض، فالموت حتمي، ولا أمل في البقاء على قيد الحياة.

Quorum siquis, ut est, vitarat funera leti,
ulceribus taetris et nigra proluvie alvi
posterius tamen hunc tabes letumque manebat,
Lucr. D.R.N. 6.1199-201

وإن نجا شخص لبعض الوقت من خطر الموت
فإنه - بعدئذ بفعل القروح الخبيثة والقيح الذي
يخرج من الأحشاء - يذبل ويكون الموت في انتظاره.

ويتفق كل من ثوكيديديس ولوكريتيوس على إصابة ضحايا الوباء بالقنوط واليأس وانتشار العدوى التي تسببت في ارتفاع نسبة الوفيات، لكن لوكريتيوس ركز بدرجة كبيرة على الحالة النفسية للمريض التي تسرب إليها اليأس "حزين النفس" **animo maesto**، كما أن حديث لوكريتيوس عن انتشار العدوى جاء لتعليل انتشار اليأس بين المرضى[١٤١].

علاوة على ذلك، يدين لوكريتيوس عدم مساعدة المريض، معتبرًا الموت في هذه الحالة عقاب لمن مارس أنانيته في التمسك بالحياة، فهو يرى أن هؤلاء هم المرضى الحقيقيون، فقد استبد بهم الخوف وتملكهم الرعب - وليس المرض- وامتلأت أنفسهم بالرغبة في الحياة، فهم فريسة الخوف والرغبة، ولهذا فإنهم يستحقون الموت الذين يفرون منه عقابًا لهم بمفردهم عاجزين[١٤٢].

Nam quicumque suos fugitabant visere ad aegros,
vitai nimium cupidos mortisque timentis
poenibat paulo post turpi morte malaque,
desertos, opis expertis, incuria mactans.
Lucr. D.R.N. 1239-42

لأن من كانوا يفرون من عيادة مرضاهم،
فإن بعد ذلك بقليل كان الإهمال المنتقم يعاقب
الراغبين في الحياة بأفراط والخائفين من الموت بميته
قبيحة سيئة، وقد هجروا وحرموا من العون.

---

(141) Thuc. 2.61,62 , Lucr 6.1230-33

(١٤٢) علي عبد التواب ٢٠٠٧، ص١٧٠، Bright, D.F.1971, p614

أما هؤلاء الذين اعتنوا بالمرضى، فقد ماتوا بسبب إنتقال العدوى إليهم[١٤٣]، وقد اتفق ثوكيديديس ولوكريتيوس بشأن هؤلاء، وأنهم يفعلون ذلك بدافع الإحساس بالواجب، وأن النتيجة الحتمية لهذه الزيارة هي الموت.

blandaque lassorum vox mixta voce querelae.
Optimus hoc leti genus ergo quisque subibat.
Lucr. D.R.N. 6.1245-46

فاختلط صوت الإشفاق على المرضى بصوت شكوى المنهكين.
فتلقى أكثر الأنفس نبلًا حتفها بذلك المنوال.

وجعل لوكريتيوس الإصابة بالوباء تشمل الرعاة والفلاحين، ويظهر ذلك من خلال استخدام مفردات تحمل دلالة ريفية مثل الفلاحون **agricolarum**، وراعي الأغنام **pastor**، وقائد قطعان الماشية **armentarius**، وسائق المحراث **moderator aratri** المنحني الشكل مفتول العضلات، وهو بذلك جعل كل أمرئ شاهدًا على فساد الأرض[١٤٤]، ويستخدم تعبيرًا يدل على الموت المحقق واستحالة الخلاص والنجاة، فيقول:

Nec poterat quisquam reperiri, quem neque morbus
nec mors nec luctus <u>temptaret</u> tempore tali.
Lucr. D.R.N. 6.1250-51

لم يكن بإمكان أحد أن يوجد في مثل هذا العصر
إلا وقد هاجمه المرض أو الموت أو الحزن.

ففي البيتين السابقين يركز لوكريتيوس على المعاناة الجسدية والنفسية من خلال استخدام المفردات الدالة على المرض **morbus**، والحزن **maeror, luctus**، والموت **mors**، ويبدو استخدام الفعل يهاجم **temptare** غريبًا بالإشارة إلى **mors**، لكنه يعد استخدامًا طبيعياً مع كلمة **luctus**، فهو هنا يظهر الوباء العقلي الذي يسيطر على روح الضحايا ويدمرها، وهم يواجهون المرض، بالإضافة إلى الانهيار المجتمعي، فالمجتمع تحت ضغط الخوف والطبيعة المدمرة من خلال انتشار العدوى من الإنسان للحيوان ومن المدينة للريف[١٤٥].

لقد تمكن لوكريتيوس من إبراز صورة الرعب العام الذي لا خلاص منه، والتأكيد على اليأس من النجاة من المرض، باستخدام تعبيرات تحمل دلالة سيكولوجية، دون أن يغفل المعاناة الجسدية، فمثلا يستخدم كلمة اللسان **Lingua** وعرفه بإنه "ترجمان العقل **Animi Interpres**" ينزف دمًا، مما يوضح إنه منذ البداية

(143) Bright, D.F.1971, p614, Commager, H.S. 1957, p108
(144) Lucr. D.R.N. 6.1252-53
(145) Bright, D.F.1971, pp622, 623

سيقدم تفسيرًا عقلانياً لكل ما سيتناوله[١٤٦]، كما أن هذه الكلمة تحمل دلالة نفسية تفوق المعنى العضوي لكلمة **γλῶσσα** الذي قصده ثوكيديديس[١٤٧]، وأضاف لوكريتيوس أثناء وصفه لأعراض المرض بعض الأبيات التي تربط بين المعاناة الجسدية والمعاناة النفسية[١٤٨]، حيث يقول:

Atque animi prorsum vires totius ‹et› omne
languebat corpus leti iam limine in ipso.
Lucr. D.R.N. 6.1156-57

تكون كل قوي العقل قد وهنت
وكذلك الجسد بأسره، وأصبح الآن على أعتاب الموت ذاتها.

يضيف لوكريتيوس فقرة عن بعض الأعراض التي لم ترد في مصدره اليوناني، وقد بدأ الفقرة بأعراض ذات طابع نفسي، فيقول:

Multaque praeterea mortis tum signa dabantur,
perturbata animi mens in maerore metuque,
triste supercilium, furiosus vultus et acer,
Lucr. D.R.N. 6.1182-4

علاوة على ذلك، فإن علامات كثيرة للموت ظهرت آنذاك،
فالأفكار في الذهن مشوشة في آسى وخوف،
والجبين مقطب، وملامح الوجه هستيرية ومرعبة.

ويسخر لوكريتيوس من فكرة البعث بعد الموت، ويؤكد على ضرورة طرد الخوف من فكرة العقاب بعد الموت 3.853، حيث تهدف فلسفة أبيقور إلى تطهير النفس من الرغبة **cupido** والخوف **metus** 6.24-25 اللذان يشكلان العقبة الأساسية للحياة السعيدة، ويتم هذا التطهير من خلال علاج اضطراب القلوب **anxia corda** 6.14.

ويرغب لوكريتيوس في إثارة الشفقة في نفوس القراء، فيستخدم مفردات وصور تحمل دلالات عاطفية في تصوير حال مرضى الوباء، مثل صورة الأطفال، وقد مات والداهم فوقهم والعكس كذلك[١٤٩].

Exanimis pueris super exanimata parentum
corpora nonnumquam posses retroque videre
matribus et patribus natos super edere vitam.
Lucr. D.R.N. 6.1256-58

---

(146) Commager, H.S. 1957, p106
(147) Bright, D.F. 1971, p616
(١٤٨) علي عبد التواب ٢٠٠٧، ص١٧٣
(149) Bright, D.F. 1971, p 615, علي عبد التواب ٢٠٠٧، ص١٧٢

ولعلك ترى أحيانًا أجساد الوالدين تتمدد هامدة
فوق أجساد أطفالهما الخالية من الحياة، وعلى النقيض
يسلم الأطفال الروح فوق أجساد الوالدين الممددة.

كما يقدم لوكريتيوس وصفًا مروعًا للضحايا الذين يموتون في الشوارع، قائلاً: يرتجف السكان خوفًا **horrida**، فهؤلاء لا يرتجفون من شدة المرض، بل خوفًا، وبالتالي فمرض هؤلاء هو الخوف وليس الوباء[١٥٠].

ويؤكد لوكريتيوس على ضرورة طرد الخوف من النفس والتحكم في المشاعر التي من خلالها ينشأ الطمع. فالخوف والطمع يقفان عائقًا في بلوغ السكينة والهدوء "**ἀτᾰραξία**"، فالإنسان بعد أن تسلح بالعقل، وأمدته الحواس بالمعلومات اللازمة، فإنه مستعد لإخضاع الكون الذي وجد نفسه فيه[١٥١]، فالحقيقة ندركها بالعقل والحواس معًا، وأشار لوكريتيوس ببراعة إلى أن الوباء الحقيقي (الخوف) يؤدي إلى قصور الحواس ووسائل الإدراك لدى الضحايا، تلك الحواس التي بدونها لن يتمكن الإنسان من الحصول على وجهة نظر سديدة، فحاسة البصر لا تعمل لأن العينان ملتهبتان حمراوتان **suffusa** 1146، واللسان ينزف دمًا **manabat lingua cruore** 1149، والأذنان مشوشتان ويملئهما الطنين **sollicitae porro plenaeque sonoribus aures** 1185، واليدان تنتفض اوتارها **trahere et tremere** 1190، ومن ثقبي الأنف يخرج الدم الفاسد **corruptus sanguis expletis naribus ibat** 1203[١٥٢].

وهكذا فالنفس الإنسانية تحمل بين جنباتها قوى تدمير ذاتي، وهي الانهيار النفسي، فهو يصف الطبيعة البشرية بالعليلة **mortalibus aegris** 6.1، كما أن أعراض المرض تتمثل في الخوف والحزن. فالبشر بالرغم من أن لديهم كافة سبل الحياة الكريمة، إلا أن قلوبهم مضطربة **anxia corda** 6.14، ويؤرقون حياتهم **vitam vexare** 6.15، وذلك لأن الإنسان يطمع في المزيد من الثراء والمناصب والشهرة، فالإنسان يجلب لنفسه الهلاك[١٥٣]، وهكذا يؤكد لوكريتيوس أيضًا أن الوباء هو الصراع والتنافس الذي يصيب النفس المريضة وغير المستنيرة، فرغبات الإنسان تؤرقه وتدفعه إلى تحقيقها[١٥٤]، وهكذا فإن تقرير الوباء بأسره يستعرض تأثير المعاناة على عقول البشر ونفوسهم ورد فعلهم غير العقلاني والإنفعالي[١٥٥]، فالوباء نموذج للقوة المدمرة للجسد، والخوف المدمر للروح، فالإنسان بسبب الخوف من الموت والجشع

---

(150) Bright, D.F. 1971, p 616, Lucr. D.R.N. 1267-71

(١٥١) علي عبد التواب ٢٠٠٧، ص ١٨٥

(152) Bright, D.F. 1971, p620

(١٥٣) علي عبد التواب، ٢٠٠٧ ص ١٨٦

(١٥٤) علي عبد التواب ٢٠٠٧، ص١٨٠

(155) انظر Lucr. D.R.N. 6.1285-6a, 6.1247-8a

لحياة أطول يخلق لنفسه عذاب الرغبة فيما لا يمكن تحقيقه، مما يؤدي إلى القلق الذي يدمر راحة البال[١٥٦]، وهكذا يؤكد لوكريتيوس ظلام الحياة غير الابيقورية[١٥٧].

معالجة فرجيليوس للوباء.

يعد وباء الماشية الذي أصاب مدينة نوريكوم محاكاة لكل فقرة من فقرات قصيدة "في طبيعة الأشياء، بل يعد الكتاب الثالث من "الزراعيات" **"Georgica"** نموذجاً مصغراً من قصيدة "في طبيعة الأشياء"[١٥٨]؛ فأعراض المرض الذي أصاب الحيوانات في "زراعيات" الشاعر فرجيليوس مستمدة من أعراض معاناة البشر في قصيدة " في طبيعة الأشياء" للشاعر لوكريتيوس[١٥٩]، حيث يبدي فرجيليوس إعجابه بالطابع العلمي الذي صاغ به لوكريتيوس ديوان "في طبيعة الأشياء"[١٦٠]، مستخدمًا مادة بلاغية مجازية وأسلوبًا خيالياً وصفياً يعبر عن اهتمامه بالجانب العاطفي[١٦١]، من خلال تعاطفه مع الحيوانات واضفاء صفات البشر عليها، واتجاهه صراحة للتعاطف مع ضحايا الوباء بغرض التأثير في المتلقي على حساب بلوغ الحقيقة من خلال استخدام مفردات دالة على الحزن مثل **miseranda** حزين، و**miseros** بائس[١٦٢]، كما أن فرجيليوس يريد أن ينقض فكر لوكريتيوس الإبيقوري باستخدام مفرداته وعباراته ليبرهن على أنه فكر خاطئ[١٦٣].

يبدأ كل من الشاعرين لوكريتيوس وفرجيليوس بشرح علمي لحدوث المرض، وكلاهما يوضح أن المرض يصيب المذنب والبريء على حد سواء[١٦٤]، لكن فرجيليوس يجعل أعراض المرض أكثر واقعية بخلاف لوكريتيوس وثوكيديديس، فيعبر عن تعب الفرس وعدم شعوره بالراحة وفقدانه الشهية، رافضًا شرب الماء، مستخدمًا تعبيرات مثل صعوبة التنفس والآهات والتنهدات الثقيلة **gemitu grauis** ، **longo ilia** كعلامات على الموت الوشيك[١٦٥]، وهي أعراض لم يستعيرها من لوكريتيوس.

(156) Bright, D.F. 1971, p627-629

(157) Gale, M.1994, p23

(١٥٨) نجوى أحمد مصطفى ٢٠١٧، ص ص٥٧٤ -٥٧٥

(159) Gale, M.1994, p45

(160) Verg. Georg. 2. 490-2

(١٦١) تحدث أوفيديوس عن الوباء في الكتاب السابع من التحولات ٥١٦-٦٢١ معتمدًا على وصف الشاعرين فرجيليوس ولوكريتيوس، لكن بأسلوب أكثر روعة مستخدمًا مواهب أدبية في وصف الوباء Finnegan, R. 1999, pp35-39

(162) Verg, Georg. 3.478, 483.

(١٦٣) نجوى أحمد مصطفى٢٠١٧، ص٥٧١

(164) Gale, M. 1994, p76

(165) Verg, Georg. 3. 505-7

ويؤكد فرجيليوس على طبيعة المرض التي لا يمكن تفسيرها، ويصور الحيوانات التي تحتضر بلغة ثرية تخلق حالة من الرعب واليأس، فتلك الحيوانات الأليفة تخلت عن روحها المرحة **dulcis animas**، وسقطت صريعة المرض[١٦٦]، حتى الكلاب الوفية **blandis** تعرضت لهذا الموت البشع، كذلك الأضحية تسقط صريعة قبل أن تصل إلى المذبح، ففي ظل هذا الوباء الشرس تخلى كل من الحيوان المفترس والفريسة عن عداوتهما[١٦٧].

يهتم فرجيليوس بالتفاصيل المثيرة للشفقة، ففي تقديمه لأعراض المرض على الفرس يعكس سمات الفرس السليم، فيصف الفرس المريض بإنه ذو أذن ساقطة **demissae aures**، وهو وصف يتناقض مع حالته في الأوقات السعيدة، عندما يرفع أذنه في المعركة، كذلك تعبيره عن أن هذا الموت العنيف لا يفرق بين الأتقياء والأعداء **di meliora piis, erroremque hostibus illum!** ، يترك انطباع بالرعب لدى القارئ من خلال المقابلة بين الكلمتين **piis** الأتقياء و**hostibus** الأعداء[١٦٨]، فيستخدم فرجيليوس التضاد والمقابلة بغرض تعميق شعور القارئ بالشفقة.

ويري ريكسون Wrixon أن فرجيليوس يستخدم صورة الفرس في قوته وانكساره كرمز لمدينة روما، لكي يعبر عن حزنه على تمزق أعضاء المدينة الحيوية بشكل رهيب، وتغير قوتها العسكرية[١٦٩]، كما أنه يستخدم المرض والموت كناية عن اضطراباتها السياسية، حيث إن الوباء في نوريكوم ليس له أي سند تاريخي، بل إنها صورة فنية من خلق فرجيليوس[١٧٠].

وبينما يقدم كل من ثوكيديديس ولوكريتيوس مساحة جديرة بالاعتبار لكل جانب من جوانب موضوع الوباء، أسباب المرض[١٧١]؛ وأعراضه[١٧٢]؛ وعلم الأوبئة[١٧٣]، يستهل فرجيليوس حديثه عن الوباء بأعراض المرض المميت الذي يقلص الجسد الهزيل، ويفتت العظام خائرة القوى[١٧٤]، لكنه لم يهتم بدقة الأعراض السريرية، واستطاع واستطاع أن يبعد القارئ عن الأسئلة المتعلقة بأصل الوباء وخصائصه، وهي التي كرس لها كل من ثوكيديديس ولوكريتيوس مساحة كبيرة في وصفهما، واقتصر

(166) Verg, Georg 3. 482-5, 494, 513,525-30, 541-7 انظر
(167) Verg, Georg.3.537-47, 3.496
(168) Wrixon, C. G. 1974, p181, Verg, Georg. 3.497-500, 513
(169) Wrixon, C. G. 1974, p183
(170) Wrixon, C. G. 1974, p220
(171) Thuc.2.47-48, Luc. 6.1090-1144
(172) Thuc.2.49, Luc. 6.1145-1214
(173) Thuc.2.50-54, Luc. 6.1215-1286
(174) Verg. Georg.3. 482-5

فرجيليوس على بضعة أبيات تطرق فيها على عجالة إلى أسباب المرض وأعراضه، فخصص لكل جانب منهما أربعة أبيات[١٧٥]، في مقابل اثنين وستين بيتًا كاملًا تحدث فيها عن مدى تأثير المرض على ضحاياه[١٧٦]. لا شك أن ذلك يرجع إلى أن هذين الجانبين يتيحان الفرصة بدرجة أقل بكثير لإبراز العنصر المثير للشفقة الذي يهدف فرجيليوس إلى التأكيد عليه[١٧٧]. ففي حين يقدم لوكريتيوس أعراض المرض وتأثيره بشيء من التفسير العلمي، يقدم فرجيليوس تقريرًا يدعو بوضوح إلى التعاطف مع ضحايا الوباء، هذا وقد صور الحيوانات النافقة في تعبيرات إنسانية بحتة، فتوصل إلى حقائق تختلف تمامًا عن تقرير لوكريتيوس[١٧٨]، ويتضح ذلك في صورة ثور المحراث الذي يحزن على أخيه **fraterna**، حيث يعرض فرجيليوس من خلالها نوعًا من الخطبة الجنائزية، ففي صورة الفرس يؤكد فرجيليوس على الأعراض الجسدية، أما في صورة الثور، فيحتفي بالأسلوب، حيث يباغت الموت الثور بمطلع البيت ٥١٦، بينما كان يتصبب عرقًا خلال عمله على المحراث، ليستدر قدرًا كبيرًا من التعاطف، كما يدعو الأنين(**gemitus**) الصادر عن الثور إلى الشفقة. غير أن أكثر أوجه الأختلاف عند فرجيليوس وتثير تعاطفًا إنسانياً هي إظهار حزن الفلاح **Tristis arator**(الفلاح الحزين) وحزن الثور الآخر الذي ذهبت نفسه حسرات على فقد رفيقه في العمل، ولم يفرح ببهجة الطبيعة له، بل يسقط على الأرض حزينًا مشفقًا على صديقه، ففي بداية الكتاب الثالث كانت صورة الثور إما أضحية أو مساعد للفلاح، ومازالت هذه الصورة المخلصة للثور حتى النهاية، فهو يموت وهو يؤدي واجبه أسفل النير.

ecce autem duro fumans sub uomere taurus
concidit et mixtum spumis uomit ore cruorem
extremosque ciet gemitus. it tristis arator
maerentem abiungens fraterna morte iuuencum,
atque opere in medio defixa reliquit aratra.
non umbrae altorum nemorum, non mollia possunt
prata mouere animum, non qui per saxa uolutus
purior electro campum petit amnis; at ima
soluuntur latera, atque oculos stupor urget inertis
ad terramque fluit deuexo pondere ceruix.
quid labor aut benefacta iuuant? quid uomere terras
inuertisse grauis? (Verg. Georg. 3.515-526)

---

(١٧٥) أسباب المرض Verg. Georg. 3.478-481، وأعراض المرض Verg. Georg.3.482-485
(176) Verg. Georg. 3.486-547
(177) Farrell, J. 1991, p85
(١٧٨) نجوى أحمد مصطفى٢٠١٧، ص٥٧٧

"انظر أيضًا، هناك ثور يتهاوى صريعًا حيث تفيض روحه أمام[179]
المحراث الثقيل، يلفظ دماءً مصحوبة برغوة تتبعث مع
آخر أناته. وأقدم الفلاح على حل الثور الآخر من النير،
فقد ذهبت نفسه حسرات على رفيقه الفقيد،
فسار بحزن في خطى وئيدة مبتعدًا عن المحراث المنغرز في الأرض
معطلًا عن العمل. ولم تعد ظلال الغابات الوارفة تثير اهتمامه الآن،
أو الرياض الوثيرة أو النهر الذي ينساب عبر السهل
فوق حصا أشد بريقًا من الذهب والفضة؛ يتهاوى جسده الثقيل فجأة
حيث تشق غيمة طريقها إلى عينيه، واضعة حدًا لحياته
فيتدلى عنقه تحت وطأة وزنه نحو الأرض.
فهل جنى ثمار عمله الشاق وحرصه على أداء الواجب وتفانيه فيه؟
وهل عاد عليه تقليبه للأرض شديدة الانحدار باستخدام المحراث؟"

ويعقب فرجيليوس في البيتين الأخيرين من الفقرة السابقة فلسفياً عن عدم جدوى العمل الشاق، من خلال استخدامه للاستفهام المجازي الذي يحمل دلالة النفي[180]، ويعد انعكاسًا للقيم الأخلاقية في الأبيات اللاحقة، حيث وردت هذه القيم في تعبيرات تثير مشاعر طيبة حري أن يتسم بها الإنسان قبل أن تتسب إلى الحيوان (الأبيات٥٢٠-٥٢٤)، وتلك الصرخة القانطة من فرجيليوس في نهاية الفقرة السابقة في الاستفهام المجازي (البيت ٥٢٥) تبدي الارتياب في حقيقة أن العمل **labor** قد يؤتي بثماره، وأنه يمكن حقًا تحقيق سلام النفس في عالم حافل بالكوارث الطبيعية التي يحار الفكر في تفسيرها، كالوباء الذي حل فجأة، فأصاب البريء والمذنب سواء بسواء[181].

وبينما جاءت الفقرات -عند ثوكيديديس ولوكريتيوس- التي تدور حول حياة الحيوان موجزة وتتوافق إلى حد كبير مع انفعالات البشر وعواطفهم؛ فصوروا كيف أن الطيور الجارحة والوحوش البرية تعف عن أكل جثث ضحايا الوباء الملقاة في العراء،

(١٧٩) استندت في ترجمة أبيات الزراعيات لفرجيليوس على ترجمة نجوى أحمد مصطفى٢٠١٧.

(١٨٠) يصنف الاستفهام في نوعين: أ-استفهام حقيقي يتوخى به صاحبه معرفة ما يجهله، وفهم ما هو ليس مفهومًا، ومعرفة ما هو ليس معروفًا، ب-استفهام مجازي وهو ما يطلق عليه علماء اللغة المحدثين مصطلح الاستفهام الإخباري، مصاغ في قالب أسلوب استفهام، وفيه يكون السائل عالمًا بما يسأل عنه، لكنه يقصد فيه معنى من المعاني المجازية التي يفهمها المتلقي من السياق اللغوي عند تأمل النص، وسبر ما يكمن وراءه من معان، وهذه المعاني المجازية ثرية ومتنوعة تتسع لشتى ضروب الفكر، ومختلف أحوال المشاعر. ويعتمد في ذلك على تحليل سياق المقام (الحال أو الموقف)، فالصيغة الاستفهامية يمكن أن تكون استفسارية في سياق مقامي معين، وتكون هي نفسها إخبارية في سياق مقامي آخر. أشرف أحمد فراج٢٠٠٢، ص ص٢١٥-٢١٧

(181) Gale, M. 1994, p46

وإن فعلت ماتت، يحول فرجيليوس هذه الجملة إلى كتالوج كامل، فقد طال الخوف والرعب عالم الوحوش مثلما طال الحيوانات الأليفة، فأصبحت الوحوش كما لو كانت مروضة **acrior illum, cura domat**[١٨٢]، فالذئاب لم تعد تهاجم الخراف، والغزلان أصبحت تتجول بحرية دون خوف من الكلاب، والثعابين طالها الوباء وماتت، كذلك الكائنات البحرية، حيث وصف المخلوقات البحرية التي أصابها المرض وانجرفت نحو الشاطئ، كما لو كانت حطام سفينة **ceu naufraga corpora proluit fluctus**، ومثل هذا التشبية يظهر الطبيعة في حالة اضطراب كامل، وربما يكون غرض فرجيليوس هو وصف الوباء كبلاء عالمي يهاجم كل جوانب الحياة، حيث إن نوريكوم ليست مدينة ساحلية[١٨٣]. وهنا ينتهي الكتالوج دون حل أو علاج[١٨٤]، فكل الطبيعة شعرت بالكارثة التي طالت الإنسان في النهاية، وقد نجح فرجيليوس أكثر من السابقين في تصوير آثار الوباء باعتباره المرض الكاسح، حيث يلقي نظرة خاطفة على أنماط قياسية واعتبرها معيارًا للحكم على الأشياء[١٨٥]، كحيوانات المزرعة والأحياء المائية والوحوش والزواحف والطيور بتعبيرات ومفردات تعبر عن الهم واليأس الشديدين، كما يلي:

non lupus insidias explorat ouilia circum
nec gregibus nocturnus obambulat: acrior illum
cura domat; timidi dammae ceruique fugaces
nunc interque canes et circum tecta uagantur.
iam maris immensi prolem et genus omne natantum
litore in extremo ceu naufraga corpora fluctus
proluit; insolitae fugiunt in flumina phocae.
interit et curuis frustra defensa latebris
uipera et attoniti squamis astantibus hydri.
ipsis est aër auibus non aequus, et illae
praecipites alta uitam sub nube relinquunt.
(Verg. Georg. 3. 537-547)

"فلم يعد الذئب يطوف خلسة ويجوس خلال حظيرة الأغنام
بحثًا عن فريسة، ولم يعد يشن الغارات أثناء الليل على
القطعان، فقد استبد به هم شديد، فصار هيابًا وباتت الأيائل
ذات الخطى الرشيقة تجول هنا وهناك وسط معشر الكلاب
وتطوف بالمنازل. وانجرفت طائفة الأحياء المائية التي تفوق
الحصر وكل ضرب من المخلوقات السابحة إلى الشاطئ،

---

(182) Verg, Georg. 3. 537-40
(183) Gale, M. 1994, p225, vergi, Georg. 3. 541-3
(184) Verg, Georg. 3.548-66
(١٨٥) نجوى أحمد مصطفى ٢٠١٧، ص ٥٧٩

فبدت كما لو كانت حطام سفينة قذف بها الموج إلى
الشاطئ؛ ونزح حيوان الفقمة من موطنه الأصلي ولاذ
بالأنهار فرارًا. وفارقت الأفعى السامة الحياة عبثًا تحتمي
بجحرها الملتوي من ثم اقشعرت حراشف حية الماء العذب
ذعرًا. وبات الهواء مهلكًا حتى للطيور، إذ تتردى بلا هوادة
رأسًا على عقب، فتفيض روحها بمكان قصي عن السحب
العالية."

في الفقرة السابقة يستمر فرجيليوس في استخدام وسيلة التناقض ومقابلة الشيء بنقيضه، ليعمق شعور القارئ بالشفقة، فها هو الذئب، الوحش الضاري، لم يعد مفترسًا، وذلك الغزال دائم القلق، أصبح لا يعرف الخوف، إذ إن الكلاب مرضى الآن، ولم تعد تسبب له إزعاجًا.

ويعتقد البعض أن فرجيليوس أساء فهم هذه الأبيات من تقرير لوكريتيوس، لأنه يشير إليها بقدر محدود من التفاصيل، لكن ربما يرجع ذلك إلى ألفته بهذه الأبيات، ففي حين يلتزم لوكريتيوس الحياد والوضوح وتحري الدقة العلمية في التصوير الدقيق لهذا الوباء الذي هاجم مدينة أثينا قبل أربعة قرون من تأليف لوكريتيوس لقصيدته، لا يعير فرجيليوس اهتمامًا لذلك؛ فقد صرف تقريره إلى وجهة مختلفة تمامًا، فحوله إلى لغة منمقة تحتفي بالأسلوب[١٨٦].

ويصور فرجيليوس جهود الكهنة الضائعة من أجل التطهير من الذنب الذي جلب عليهم الوباء، وذلك بالتضحية بعجل صغير، لكنه يسقط ميتًا قبل حدث التضحية ذاته (الأبيات٤٨٩-٩٣)، حيث أصبح الموت يملأ المكان، والمعتقدات الدينية عاجزة أمام قوة الوباء[١٨٧]، وقد سار فرجيليوس بكل معنى الكلمة على غرار تطور هذه الفكرة عند لوكريتيوس حتى بلغ تصوير الجثث المترامية في شوارع المدينة بسبب الوباء[١٨٨]، ويعبر فرجيليوس عن ذلك من خلال مشهد مثير للشفقة، فيقول:

iamque cateruatim dat stragem atque aggerat ipsis
in stabulis turpi dilapsa cadauera tabo,
Verg. Georg. 3.556-7

"أما الآن فقد تفشى الوباء بين الجموع
وتكدست جثث الحيوانات الرميمة في مرابضها،"

(١٨٦) نجوى أحمد مصطفى٢٠١٧، ص٥٨١
(187) Wrixon, C. G.1974, p180
(188) Farrell, J. 1991, p92f

يشير لوكريتيوس إلى أن العلاج لم يعد يجدي نفعًا حيال وباء أثينا، فلا راحة من الألم، حيث كان المرضى يسقطون على الأرض من الإنهاك[١٨٩]، أما لدى فرجيليوس فقد تحولت مهنة الطب إلى مجاز أسطوري معبرًا أيضًا عن صعوبة الوضع، فرغم كل محاولات الأطباء، تدهورت الأحوال بفعل مرض غير قابل للشفاء[١٩٠]، فيقول:

quaesitaeque nocent artes; cessere magistri,
Phillyrides Chiron Amythaoniusque Melampus.
saeuit et in lucem Stygiis emissa tenebris
pallida Tisiphone Morbos agit ante Metumque,
inque dies auidum surgens caput altius effert.
Verg. Georg. 3. 549-553

".ورغم كل محاولات الأطباء إلا أن الأحوال تدهورت من سيء إلى أسوأ، إذ أعلن أمهر الأطباء خيرون[١٩١] بن فليرا وميلامبوس بن أميثاؤون أن المرض غير قابل للشفاء. وقد بدأت روح تيسيفوني الناقمة تظهر للعيان، تطل بوجهها الشاحب من ستيكس، تعصف بنا في وضح النهار، فتدفع بالوباء أمامها وتغادر هلعًا من ورائها. ومع حلول كل يوم جديد ترفع إلى السماء هامة جشعة شديدة التوق إلى الأذى. "

قبل صعود تيسيفوني يعرض فرجيليوس الجهود التي بذلت في سبيل التخفيف من انتشار الوباء؛ فيبدأ بتغيير نوع العلف الذي يقدم للماشية، ثم تطرق إلى جهود الطب البيطري artes، فاختار أساطينه magistri (البيت٥٤٩) –خيرون وميلامبوس- فلكل منهما صلة بعالم الحيوان، وبالمهارة العلاجية، فلم يكتف فرجيليوس بأن يعبر عن مهنة الطب بهذين المجازين الأسطوريين فحسب، بل صور أيضًا خصوم هذين

(189) Lucr. D.R.N. 6.1178-9

(190) Verg. Georg. 3. 549-553

(١٩١) يعقب ريتشارد توماس على البيت ٥٥٠ فيقول: "إن فرجيليوس لا يقصد هذه الرموز الأسطورية في حد ذاتها، بل إنهما ينوبان عن الأطباء في هذا العصر. وقد اشتهر خيرون منذ عصر هوميروس بفضل مهاراته العلاجية: ففي الكتاب الرابع من الإلياذة تولى ماخاؤون رعاية مينيلاؤوس عندما أصيب أثناء القتال، فداواه بعقار كان قد أوصاه والده خيرون به. وبقرب ختام الكتاب الحادي عشر من الإلياذة أيضًا التمس يوريبيلوس المساعدة الطبية من باتروكلوس، إذ إن باتروكلوس قد تلقى تعليمه على يد أخيليس الذي تعلم بدوره على يد القنطور خيرون. وعند هذا الموضع من الإلياذة أشار هوميروس إلى خيرون بوصفه "خير وأصلح القناطير قاطبة" Hom. Il. 832، فلا غرو إذن أن يجعل فرجيليوس من خيرون مجازًا عن الطب. ويقف ميلامبوس أيضًا كنموذج مناسب للتصدي لوباء الماشية؛ وذلك لقدرته على فهم منطق الطير والحيوانات. هذا فضلًا عن علاجه لنساء أرجوس من الجنون الذي أصابتهن به الربة هيرا؛ حيث حملتهن على الاعتقاد أنهن أبقار.(Verg. Eclog.6.48) ، وقد نعت هوميروس ميلامبوس بأنه عراف لا تثريب عليه Thomas, R. 1988, p101, Hom. Od. 11.291

الطبيبين ليس كوباء تقليدي يمكن التوصل إلى أسباب حدوثه، بل كمخلوق خرافي(تيسيفوني) تكشف عنه بوابة العالم السفلي، فيندفع ومعه الأسقام والمخاوف[١٩٢]، وقام فرجيليوس بتشخيص الأسقام والمخاوف، اللذين جسدهما في صورة تيسيفوني، حيث يتحرك انتصارها في الإتجاه المضاد لانتصار أبيقور على المعتقدات الخرافية [١٩٣].

وعندما نمعن النظر في صورة فرجيليوس الختامية التي تقرر عدم جدوى العلاج في مقابل القوة الصاعدة من العالم السفلي، نصل إلى نتيجة واضحة: أن لوكريتيوس وفرجيليوس يعتبران المعتقدات الدينية غير ذات جدوى. والحق أن فرجيليوس يكشف تدريجيًا عن موقفه من هذه القضية، وذلك عن طريق إشارات ضمنية تعود مرة تلو الأخرى على لوكريتيوس؛ وذلك من خلال تبنيه موقفًا عقلانياً يؤمن بوجود الآلهة، وقد أعلن ذلك صراحةً على العكس من لوكريتيوس الذي يخالفه في الرأي.[١٩٤] وقد حذر فرجيليوس الراعي الذي أصيبت ماشيته من الاعتماد على الأرباب، بينما يقتضي الموقف إجراءً عاجلًا، فيقول:

alitur uitium uiuitque tegendo,
dum medicas adhibere manus ad uulnera pastor
abnegat et meliora deos sedet omina poscens.
Verg. Georg. 3.454-6

"ازداد الوباء وتفاقم في خفاء، في حين أحجم الراعي
عن اللجوء إلى التدخل الجراحي لعلاج القرح،
بل قبع متراخياً بلا عمل، يستجدي من الآلهة بشير خير."

بوجه عام يتحاشى فرجيليوس الخوض في التفاصيل الطبية التي أفاض لوكريتيوس فيها، لكنه يؤلف بين مصطلحات ومفاهيم مختارة من تفاصيل بالغة العمق وأعراض مترابطة منطقياً، ليقدم صورة مبسطة عن المرض تتسم بالاعتماد على التأثير على العواطف، فهو يهتم بالأسلوب الأخاذ[١٩٥] أكثر من اقتفاء أثر لوكريتيوس الذي يسهب في تناول أعراض المرض الفعلية، والتطور التدريجي له[١٩٦]، فبينما يجعل لوكريتيوس العرق الذي يغمر المريض عرضًا شائعًا من أعراض المرض، يصف فرجيليوس العرق **sudor** بأنه بارد **frigidus** كعلامة على الموت[١٩٧]، وقد سار في ذلك على نهج مأثورات الحكيم أبقراط[١٩٨]، وكان فرجيليوس يصور الأعراض

(١٩٢) نجوى أحمد مصطفى ٢٠١٧، ص٥٨٦

(193) Farrell, J. 1991, p204
(194) Farrell, J. 1991, p93f
(195) West, D. 2007, p79
(196) Lucr. D.R.N. 6.1145-1198.
(197) Verg. Georg. 3.500-501
(198) Farrell, J. 1991, p84, Hipp. Prog. 2(2.114L)

بأسلوب سلس يسير الفهم، لكنه يعدل في بعض الأعراض بصورة لم تحظ بمصداقية؛ إذ إنه ذكر أن العظام سوف تتحول إلى حالة السيولة.

rursus abundabat fluidus liquor omniaque in se
ossa minutatim morbo conlapsa trahebat.
Verg. Georg.3.484-5

"حيث يتحلل قدر كبير من المادة السائلة التي تحتوي عليها العظام الخائرة القوى، فتتفتت بفعل المرض ذرة تلو الأخرى."

انتهت هذه القصة الاستطرادية الواردة بديوان "الزراعيات" بانتقال عدوى الوباء من الماشية إلى البشر، ويؤكد فرجيليوس عدم قدرة الإنسان على استخدام جلود الحيوانات في الملبس، وهي من أهم الاحتياجات الأساسية للتحضر، فقد جاء الوباء على كل شيء، فيقول:

nam neque erat coriis usus, nec uiscera quisquam
aut undis abolere potest aut uincere flamma;
ne tondere quidem morbo inluuieque peresa
uellera nec telas possunt attingere putris;
uerum etiam inuisos si quis temptarat amictus,
ardentes papulae atque immundus olentia sudor
membra sequebatur, nec longo deinde moranti
tempore contactos artus sacer ignis edebat.
Verg. Georg. 3. 559-566

"ولم تعد جلود الحيوانات صالحة للاستعمال، لأنها غير قابلة للتطهير عن طريق نقعها في الماء أو للتعقيم بواسطة معالجتها بالنار؛ ولم يتسن حتى جز صوفها فقد التهمه الوباء وأتى عليه وغطته الأدران والعطن الذي يجعل المرء يحجم عن نسج رداء كريه الرائحة يتدلى من نوله؛ وأي امرئ ارتدى هذه الثياب الكريهة، فسوف تفوح من بدنه هذه الرائحة البشعة وسيبتلى ببثور ملتهبة[١٩٩] ويتصبب عرقًا ملوثًا، وفي أقل من لمح البصر ستلتهم النيران المقدسة بدنه المصاب بالعدوى."

ويبدو مما سبق أن فرجيليوس ولوكريتيوس وثوكيديديس يعتمدون على صيغ مستمدة من الكتابات الطبية بالغة الدقة، لكن أقلهم اعتمادًا على التقارير الطبية ومراقبة حالة المريض، هو فرجيليوس الذي كان اهتمامه منصبًا على التأثير المتزايد

---

(١٩٩) الصفة "ملتهبة" **ardentes** التي يصف بها فرجيليوس البثور، يصف بها لوكريتيوس الأجساد الملتهبة بفعل الوباء Lucr. D.R.N. 6.1172-3 ، والاعين الشاخصة الملتهبة بسبب الوباء Lucr. D.R.N.6.1180-1، لكن كلمة "بثور" **papulae** ذاتها نجد ما يقابلها عند لوكريتيوس كلمة " قرح" **ulcera** . Lucr. D.R.N. 6.1166-7

لاستجداء الشفقة والعطف، لذلك يتسم أسلوب فرجيليوس في الكتاب الثالث من عمله "الزراعيات" بالمبالغة في تصوير الأهوال والفظائع.

الخاتمة

تناولت هذه الورقة البحثية موضوع معالجة الوباء في أنماط أدبية متنوعة، ما بين الشعر المسرحي ويمثله سوفوكليس، والتاريخ ويمثله المؤرخ ثوكيديديس، والشعر التعليمي ويمثله الشاعران الرومانيان لوكريتيوس وفرجيليوس، وكان لكل من هؤلاء الكتاب أسلوبه المميز في معالجة موضوع الوباء، فلم يهتم سوفوكليس بذكر الأعراض الجسدية للوباء، وكان اهتمامه منصبًا على تقديم التأثير الدرامي للوباء من خلال استخدام الكناية والتشبيه ومفردات وأفعال تلائم الحروب بدون استخدام كلمة **λοιμός** ذاتها، في حين كان اهتمام ثوكيديديس منصبًا على وصف أعراض المرض بدلا من أن يقدم تفسيرًا فلسفياً أو دينياً لأسباب المرض، فبدون الوصف الدقيق الذي قدمه ثوكيديديس لهذا المرض لم نتمكن من تحديد طبيعة الوباء الذي تعرضت له أثينا، فكان هدفه الأساسي أن يسجل حقائق عن هذا الوباء يمكن أن تفيد الأجيال القادمة في حال تكراره مرة أخرى. تحدث ثوكيديديس بموضوعية دون اللجوء لإثارة الشفقة والعاطفة، واهتم بالتعبير عن الانهيار الاجتماعي والنفسي للأثينيين جراء هذا المرض، الذي تسبب في حالة من الذعر والاكتئاب.

كان أسلوب ثوكيديديس دقيقًا تاريخياً لكنه درامياً خيالياً غرضه اظهار قوة الوباء الكارثية، ومن الوسائل الأسلوبية لثوكيديديس ١- المقابلة والتضاد بغرض التأثير البلاغي، ٢- وسيلة الترتيب الزمني للحدث، ٣- وسيلة اختصار الإطار الزمني، وكان يهدف إلى تقديم صورة قاتمة لمعاناة المجتمع الأثيني أثناء الوباء، مما دفعه إلى استخدام الكثير من التأكيدات المبالغ فيها بشكل واضح، فالآراء المتشائمة داخل السياق الدرامي لوصف الوباء متناقضة مع روايته التي تؤكد أن الأثينيين واصلوا حكم إمبراطوريتهم، وواصلوا الحرب بقوة Thuc.2.54، فهو يريد أن يوضح للقارئ أن الحروب البيلوبونيسية كانت أصعب حرب، وكان يمكن للأثينيين الانتصار فيها، إذا لم يدمروا أنفسهم أخلاقياً.

لم ينظر لوكريتيوس للوباء الذي واجهته أثينا كحدث تاريخي، فتقرير الوباء عنده يرمز إلى الحالة العقلية لغير الابيقوري، وعدم قدرته على التغلب على الكارثة الطبيعية، فالوباء عند لوكريتيوس رمز للمرض النفسي، فقد استطاع أن يعبر عن حرمان الخائفين من لذة الحياة من خلال استخدام المفردات التي تحمل دلالة الخوف والرعب، فالمرضى الحقيقيون هم من يستبد بهم الخوف ويملكهم الرعب، فهو يوجه القارئ لقبول الموت من خلال قبوله للتفسير العلمي للظواهر الطبيعية. لم يلجأ لوكريتيوس إلى البراعة الفنية، فهو يتناول الواقع في عبارات عادية أقرب للنثر منها

للشعر، ويميل في تقريره لعرض الآلام النفسية للضحايا، ولوصف العلل الجسدية بمفردات ذات دلالة نفسية.

أما فرجيليوس يستخدم مادة بلاغية مجازية وأسلوبًا خيالياً وصفياً يعبر عن اهتمامه بالجانب العاطفي، من خلال إضفاء صفات البشر على الحيوانات، بغرض التأثير في المتلقي على حساب بلوغ الحقيقة من خلال استخدام مفردات دالة على الحزن واليأس، فهو يقدم صورة مبسطة للمرض بأسلوب عاطفي بلاغي عن طريق التناقض بغرض إثارة الشفقة، متحاشياً الخوض في التفاصيل الطبية، ناقلًا الموضوع لخطبة عاطفية ذات دقة فنية، ليزيد من حدة جانب الموت المروع، ذلك الجانب الذي نظم لوكريتيوس قصيدته من أجل التخفيف منه، لأن الموت يخضع لنواميس الطبيعة.

قائمة بالإختصارت

D.R.N. : DE Rerum Natura
Eclog. : Eclogues
Georg. : Georgics
Hipp. : Hippocrates
Hom. : Homerus
Hrd. : Herodotus
Il. : Iliad
Lucr. : Lucretius
Od. : Odyssey
O. T. : Oedipus Tyrannus
Plu. : Plutarchus
Soph. : Sophocles
Thuc. : Thucydides
Verg. : Vergil

قائمة المصادر والمراجع.

أولًا: المصادر.

- Aeschylus, Agamemnon, with an English translation by Herbert Weir Smyth, Ph. D. Harvard University Press; London, William Heinemann, Ltd. 1926.
- Aeschylus, Persians, Suppliant Women, with an English translation by Herbert Weir Smyth, Ph. D. Harvard University Press; London, William Heinemann, Ltd. 1926.
- Aristophaes, Clouds, with an English translation by Benjamin B. Rogers, EDT. By T. D. Page, London, William Heinemann, Ltd. 1930.

- Diodorus Siculus, The Library, with an English Translation by C. H. Oldfather. Harvard University Press; William Heinemann, Ltd. 1989.
- Euripides, Hippolytus, with an English translation by Arthur S. Way, EDT. By T. D. Page, Loeb Classical Library, 1928.
- Hesiod, Works and Days, with an English Translation by Glenn W. Most, Harvard University Press; London, 2006.
- Homer, The Iliad with an English Translation by A.T. Murray, PH.D. EDT. By T. D. Page, Loeb Classical Library, 1928.
- Homer, The Odyssey with an English Translation by A.T. Murray, PH.D. Harvard University Press; London, William Heinemann, Ltd. 1919.
- Lucretius, De Rerum Natura, Translated by W. H. D. Rouse, Loeb Classical Library, 1924.
- Sophocles, Antigone. With an English translation by F. Storr. The Loeb classical library, William Heinemann Ltd. 1912.
- Sophocles, Oedipus the King, With an English translation EDT. By T. D. Page, Loeb Classical Library, 1962.
- Thucydides, History of the Peloponnesian War, Books 1-2, EDT. By T. D. Page, Loeb Classical Library, 1919.
- Virgil, Georgics and Eclogues, Revised Edition with an English translation by H. Rushton Fairclough, Loeb Classical Library, 1916.

ثانيًا: المراجع العربية والأجنبية.

أ -المراجع العربية.

- أحمد أمين، زكي نجيب محمود(٢٠٢١)، قصة الفلسفة اليونانية، مؤسسة هنداوي.
- أشرف أحمد فراج(٢٠٠٢)، "الإستفهام" في اللغة اللاتينية، دراسة لمفهومه النحوي والدلالي في أسلوبية "بلاوتوس" في ضوء علم تحليل أسلوب الحوار، مجلة مركز الدراسات البردية والنقوش، جامعة عين شمس، العدد ١٩، ص٢١١-٢٩٦.
- جورج سارتون(٢٠١٠)، تاريخ العلم: العلم القديم في العصر الذهبي لليونان، الجزء الثاني، ترجمة جورج حداد وآخرون، المركز القومي للترجمة العدد ١٦٣٩.
- جورج شحاتة قنواتي(٢٠١٩)، تاريخ الصيدلة والعقاقير في العصر القديم والوسيط، مؤسسة هنداوي.
- صلاح فضل (١٩٩٢)، علم الأسلوب مبادئه واجراءاته، مؤسسة مختار، القاهرة.
- علي عبد التواب(٢٠٠٧)، طاعون أثينا: الحقيقة التاريخية والرؤية الفلسفية، مجلة كلية الآداب- جامعة القاهرة، مجلد٦٧ العدد(٤) أكتوبر، ص ص ١٥٥-٢٠٥.

- فتح الله أحمد سليمان(٢٠٠٤)، الأسلوبية، مدخل نظري ودراسة تطبيقية، مكتبة الآداب.
- لوكريتيوس(٢٠١٨)، في طبيعة الأشياء، ترجمة علي عبد التواب، صلاح رمضان، سيد أحمد صادق. المركز القومي للترجمة، ط. الأولى، القاهرة.
- مصعب قاسم عزاوي(٢٠٢١)، مراجعات في فكر أرسطو، دار الأكاديمية للطباعة والنشر، لندن.
- موسي ربابعة(٢٠٠٣)، الأسلوبية مفاهيمها وتجلياتها، دار الكندي، الأردن.
- نجوى أحمد مصطفى(٢٠١٧)، وصف الطاعون في "زراعيات" فرجيليوس: دراسة في التناص، أوراق كلاسيكية، العدد الرابع عشر، ص ص ٥٦٩-٦٠٠.

ب- المراجع الأجنبية.

- Allison, J. (1983), "Percles' Policy and the Plague" Historia: Zeitschrift fur Alte Geschichte, bd.32, h,1, pp14-23.
- Arua, E. Abioye, T. Ayoola, K. (2014), Language, Literature and Style in Africa, Cambridge Scholars Publishing.
- Bellemore, J. (1994), "Plague of Athens – Fungal Poison?" Journal of the History of Medicine and Allied Sciences, vol.49, no.4, pp 521-545.
- Bright, D.F. (1971), "The Plague and the Structure of De Rerum Natura", latomus 30, 607-632.
- Commager, H.S. (1957), "Lucretius Interpretation of the Plague", Harvard Studies in Classical Philology, vol.62, pp105-118.
- Farrell, J. (1991), Vergil's Georgics and the Traditions of Ancient Epic, the Art of Allusion in Literary History, Oxford Univ. Press.
- Finnegan, R. (1999), "Plagues in Classical Literature", Classical Ireland vol.6. pp 23-42.
- Gale, M. (1994), Myth and Poetry in Lucretius, Cambridge Univ. Press.
- Gale, M. (2000), Vergil on the Nature of Things, Cambridge Univ. Press.
- Jacques, J. et al (2012), Hippocratic Medicine from Hippocrates to Galen, Brill Press.
- Kallet, L. (2013), "Thucydides, Apollo, the Plague and the war" the American Journal of Philology, vol.134, no.3 (fall), pp.355-382.
- Karl-Heinz, L. (1991), "Thukydides und die "Pest" in Athen" Medizinhistorisches, pp.128-160.
- Knox ,B.M.W. (1956), The Date of the Oedipus Tyrannus of Sophocles, the America Journal of Philology vol.77, pp133-147.

- Kazantzidis, G. (2018), “Intratextuality and Closure, the End of Lucretius De Rerum Natura” in Intratextuality and Latin literature, EDT. By Stephen Harrison, Walter de Gruyter, pp 83-98.
- Macrae J., Clark, U. (2005), Stylistics in the Handbook of Applied Linguistics, ed. by Alan Davies, Catherine Elder, Wiley-Blackwell.
- Millelslads, M.C. (1968), “the Plague In Thucydides: an Extended Metaphor”, Rivisti di Studi Classici xvi. 145-54.
- Mitchell-Boyask, R. (2007), Plague and the Athenian Imagination, Cambridge Univ. Press.
- Moliken, P. (2005), Sophocles’ Oedipus Rex, Prestwick House.
- Morgan, T., (1994), “Plague or Poetry? Thucydides on the Epidemic at Athens”, Transactions of the American Philological Association, vol.124, pp 197-209.
- Page, D. I. (1953), “Thucydides Description of the Great Plague at Athens”, the Classical Quarterly, vol. 3. No.3/4(jul.- oct.), pp 97-119.
- Parry, A. (1969), “The language of Thucydides, Description of the Plague” Bulletin of the Institute of Classical Studies, no.16, pp106-118.
- Pinault, R.J. (1986), “How Hippocrates Cured the Plague”, Journal of the History of Medicine and Applied Sciences, vol.41, issue1, January. pp52-75.
- Powell, C. (2013), The Plague of Athens: A Philological,Epidemiologyical and Clinical Analysis of the Plague, Senior Honors Projects at Carroll Collected 22.
- Smith, H. (2006), Master Pieces of Classic Greek Drama, Greenwood Press, London.
- Swain, S. (1994), “Man and Medicine in Thucydides” Arethusa vol.27, no.3 (Fall), pp 303-327.
- Thomas, R. (1988), Virgil: Georgics. Cambridge Univ. Press.
- West, D. (2007), Two Plagues: Virgil, Georgics 3.478-566 and Lucretius 6.1090-1286 **in** Creative Imitation and Latin Literature, Cambridge Univ. Press.
- Wrixon, C. G. (1974), Studies in Vergil’s Third Georgics, Mc. Master Univ. Phd.
- Yufang Ho, (2011), Corpus Stylistics in Principles and Practice, A&C Black.

ثالثًا:المواقع الإلكترونية.

- www.Britannica.com/biography